كيف ...
ولماذا؟..

تأليف
عبد الرزاق نوفل

الناشر
دار الكتاب العربي
ص.ب: ٥٧٦٩-١١ بيروت

كيف ...
ولماذا؟..

طبعة مزيدة منقحة

١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

إهـــداء

الى كلّ مسلم يريد أن يدعو الى دينه

تقـــديم

﴿ رَبَّنَا واجْعَلْنَا مُسْلِمَيْن لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّـةً مُسْلِمَةً لـك وَأَرِنَا مَنَـاسِكنَا وَتُبْ عَلينَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيم ﴾ .

[قرآن كريم]

الحمد لله وحده ، خلق الإنسان وميزه على غيره مما خلق ، فوهبه مـا يـدرك به الحق ، الإحسـاس والعقل. فكـل النـاس مهمـا تبـاينت بيئـاتهم ، وتبـاعدت أوطـانهم ، واختلفت أزمـانهم ، ومهمـا كـانت درجـات ثقـافـاتهم يجمعهم الإحسـاس الواحـد : الإيمان الفـطري بالله وإن اختلفت تـأمـلاتهم وتخيلاتهم وتعددت وسائل إعلان إيمانهم . فكـل إنسان وإن كـان له طـريقه الفكـري الخاص بـه إلا أن كل طـرق التفكير إنمـا تؤدي إلى الإيمـان بـالله شأنهم شأن أرواحهم إن اختلفت أجسادهم وتغايرت صورهم تتفق في وحـدة المنبع ووحدانية الأصل . .

فالطفل في أول لحظات حياته حيث يكون سمعه معطلا وبصره منعدما نجده يبتسم لما لا نراه ، ويتأمل عالما لا نعرفه قد احتـواه ، ثم يكبر الـطفل فنجـده يؤمن بالله إيمـانا انبعث من داخله لا شـأن لنـا إطـلاقـا فيـه . . ومن مظاهر إيمانه . . أنـه وهو مـا زال دون المعرفـة . . يذكـر ربه ويقسم بـه . . متخـطيا بفـطرته طـريق البحث والتحليل إلى نتيجتـه الأكيـدة المحققـة وهي

الاعتراف بالله . . وقديماً عرف ذوو النظر الثاقب إيمان الأطفال والعجائز . .

وإذا كبر الطفل . . فحيثما وجد في الصحراء أو الغابات في المدن أو المجاهل نجده يحس بوجود الله ويؤمن به سبحانه وتعالى إيمانا عميقا ، وتظهر صور الإيمان جلية واضحة عندما يحتاج الإنسان الى شيء . . أي شيء ـ ودائماً ما يحتاج الإنسان ـ نجده قد رفع رأسه لا إراديا إلى السماء ومد إليها يديه ، فداخله إذاً يؤمن بأن هناك من يعطيه كل شيء ، ولم يجد أعلى من السماء فتخيل أن الله لا بد في أعلى ما يمكن أن يكون فرفع إليها بصره ويديه . . وكذلك عندما يقع الإنسان في ضيق نجده وكأنه يعرف الطريق . إذ ينبعث من داخله النداء القوي الجميل فيقول يا رب . . لقد عرف داخله أن له رباً لا بد أن يلجأ إليه . . فناداه . .

هذا هو الإحساس الذي يشترك فيه الناس جميعاً ، العاقل والمجنون . . القوي والضعيف . . العالم والجاهل . . بل إنك لو ذهبت بعيداً وبعيداً جداً إلى حيث تجد ذلك الذي أوقد النار وجلس أمامها يتعبد ، أو ذلك الذي ركع أمام بقرة ، أو هذا الذي يناجي النجم أو الشمس أو القمر . . إذا سألتهم عن عملهم هذا لكانت إجاباتهم واحدة . . إنهم يتقربون لمن هو أكبر . . ولا يسعفهم تصورهم أو تخيلهم أن يعرفوا أكثر من أن هناك من هو أكبر من كل ما يعرفون ، وكل خير في دنياهم من نار أو غذاء أو ضياء فإنما هو من آثار من لا يعرفون الطريق إليه . . فآثروا أن يتخذوا من عبادة الخير وسيلة للإيمان بصاحب الخير .

والإنسان لو تفكر وتدبر وشاهد وتأمل لوجد آيات وجود الله قاطعة واضحة مشرقة ساطعة فلو تفكر الإنسان في نفسه : كيف يرى . . وكيف يسمع . . وكيف تعمل أجهزته كلها في اتساق وإتقان بالرغم من اختلافها وتباينها . . ودون أن يكون للإنسان أي دخل فيها . . ولو تفكر فيما حوله من ماء وهواء وأشجار وأطيار . . وأرض وسماء بل أينما أدار الإنسان بصره وأينما سرح بفكره وجد آيات الله سبحانه وتعالى . . فالعقل ومن أدواته النظر والسمع ، ومن ميادينه التأمل والتدبر ، يعتبر من وسائل الإيمان بالله .

وبالرغم من إحساس الإنسان الداخلي بالإيمان بالله ومن وجود عقله الذي لا بد أن يقوده إلى الإيمان بالله فقد ضل البعض طريق الحق القويم ، وحادوا عن الصراط المستقيم . لسبب أو غيره . . جاهلين أو عامدين . ولقد بلغ الحال ببعضهم مبلغا خطرا فعمدوا الى إثارة حملات التشكيك في الأديان ثم الدعوة الى الإلحاد . . وساعد على قيام هذه الموجات الإلحادية وانتشارها تيار المادية العارم الذي أصاب العالم ، والتخلف العلمي الذي لازم الإنسان في الفترة الماضية .

وكان لا بد لهذه الموجات من ان تنحسر ولهذه السحب من أن تتبدد تحت ضوء التقدم العلمي الذي أصبح من مميزات عصرنا الحديث .

لقد حطم الإنسان الذرة ، ووقف على بعض أسرارها ، واستخدم قوة تنبعث من داخلها أكبر كثيراً مما كان يتصوره كل عقل . . ولا يخفى مصدرها عن أي عقل . .

وخرج الإنسان من رحاب الأرض إلى أجواز الفضاء ، وها هو يقترب من الكواكب الأخرى ويعرف عنها ما يزيد أمرها عجبا . .

قال علماء الذرة آمنا بالله . . وهتف علماء الفضاء شاهدنا دليل وجود الله وبدأ نور الإيمان يشرق على العالم . . ودخلت الإنسانية عصر الإيمان . .

وإن الحائر ليقف الآن على عتبة الاستقرار ، وإن الضال قد وصل إلى الطريق ومن كاد أن يقتله الظمأ قد عثر على النبع . .

وارتفعت الأصوات من كل مكان . . وإن اختلفت ألفاظها ولهجاتها فقد اتفقت في هدفها . . الدين . . فالدوائر الشيوعية تبدي مخاوفها علناً من الكثرة التي لوحظت على عدد المترددين على دور العبادة وكثرة سؤالهم وشدة تلهفهم . .

واليهودية نشطت لنشر عقائدها في كل مكان . . بل اجتمع علماء

منهم لإعادة ترجمة التوراة المتداولة حاليا وتعديلها بما يطابق مستلزمات العصر .

والمسيحية قد اجتمعت في مذاهبها المختلفة في المؤتمر المسكوني والذي لم يعقد منذ مئات السنين للنظر في تطوير وسائل التبشير بالمسيحية .

وكان لا بد في هذا الوقت من الزمان أن يقوم كل مسلم بواجبه الذي فرضه عليه الإسلام ألا وهو الدعوة إلى دين الله الحق عن طريق البينة الواضحة والموعظة الحسنة . .

كان لا بد من كلمة هادئة صادقة عن الإسلام في هذا الميدان الذي أصبح يعج بالحركة ويفيض بالحياة . .

هذه الكلمة هي التي أقدمها للضمير العالمي في كتابي هذا استجابة لله ورسوله ليعرف كل إنسان كيف يكون مسلما ولماذا ؟ وكيف يؤدي شعائر الإسلام ولماذا ؟

والله أسأل أن يلازمني توفيقه وأن يجعل عملي خالصا له . . وأن يكتب لي ولمن دعا به وعمل على نشره أحسن الثواب وأوسع الرحمة .

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ المُسْلِمِينَ ﴾ .

[قرآن كريم]

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإسْلَام

قرآن كريم

كَيفَ تكوُن مسْلِمًا ولماذا؟..

الإسلام عقيدة هو انقياد الإنسان وخضوعه لله وحده ، وتسليم الأمر لله جل شأنه ، وبذلك فإن عقيدة الإيمان بالله في الإسلام عقيدة خالصة من أي زيغ بعيدة عن كل شائبة قوية وعميقة إلى أبعد حد . فالمسلم قد أسلم وجهه وقلبه وأمره لله إسلام الواثق بـالله المعتمد على الله المؤمن بـه كامـل الإيمان وفي ذلك تقول آيات القرآن الكريم :

﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَـهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْـرُهُ عِنْـدَ رَبِّهِ وَلاَ خَـوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْـزَنُون ﴾ . ﴿ فَـإِنْ حَاجُّـوك فَقُـلْ أَسْلَمتُ وَجهِيَ لله ومَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل للذِينَ أوتُوا الكتَـابَ والأُمِّيِّينَ أأسْلَمْتُم فَإنْ أَسْلَمُـوا فقد اهْتَدَوا وإنْ تَولَّوْا فَإنَّمَا عَلَيكَ البَلاغُ والله بَصيرٌ بِالعِبادِ ﴾ .

والإسلام لغة هو الأمان والإطمئنان . . السكينة والسلام . . وبذلك هو عكس الجاهلية وما فيها من حمية وعداء . وضد الحرب وما فيها من خصومة واعتداء . . وهذه هي دعوة الإسلام . . الـدعوة الى السـلام بنص مثل الآيـة الشريفة :

﴿ يَا إيُّها الّذِينَ آمَنُوا ادخُلُوا في السِّلمِ كافَّة ولاَ تتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيطَانِ إنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ .

والإسـلام ديناً هـو الدين الـذي أنزلـه الله سبحانـه وتعالى على خـاتم

الرسل والنبيين سيدنا محمد بن عبد الله عندما شاءت إرادة الله ان يكتمل للبشرية كل أسباب الهداية والنعمة والله سبحانه وتعالى هو الذي أطلق على هذا الدين اسم الإسلام ، وذلك بنص الآية الشريفة :

﴿ اليَومَ أكمَلْتَ لَكَمْ دِينكُم وأتمَمتُ عَليكُم نِعْمَتي وَرَضيتُ لَكُمُ الاسلاَمَ دِيناً ﴾ .

وهداية الله سبحانه وتعالى الناس إلى الإسلام إنما كان استجابة لما أوحى به إلى سيدنا إبراهيم أن يدعو به وهو يقوم بأعظم عمل تم على وجه الأرض ألا وهو رفع قواعد الكعبة الشريفة بيت الله الحرام إذ دعا عليه الصلاة والسلام ربه جل شأنه أن يكون من المسلمين وأن تكون من ذريته أمة مسلمة ، وأن يبعث فيهم رسولا ليعلمهم هذا الدين ، وذلك بنص الآيات الشريفة :

﴿ وَإذْ يَرْفَعُ ابراهيمُ القَوَاعِدَ مِنَ البيتِ وَإسمَاعيلُ رَبَّنَا تَقبَّل مِنَّا إنَّكَ أنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ . رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَينَا إنَّكَ أَنْتَ التَّوابُ الرَّحيمُ . رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِم رَسُولاً مِنْهُم يَتْلُو عَليهِم آياتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحكِيمُ ﴾ .

وجميع الرسل والأنبياء إنما كانت دعوتهم للإسلام ودعاؤهم أن يكونوا مسلمين وذلك بنص الآيات الشريفة التي تذكر الدعاء أو تؤكد الإقرار وتعلن إشهادهم بالإسلام ، وذلك مثل :

﴿ مَا كَانَ إبْراهِيمُ يَهُودياً وَلاَ نَصْرَانِياً وَلَكن كَانَ حَنِيفاً مُسلِماً وَمَا كَانَ مِنَ المُشركِينَ ﴾ ،﴿وَوَصَّى بِهَا ابراهِيمُ بَنِيهِ وَيَعقُوبُ يَا بَنِيَّ إن الله اصطَفَى لَكُم الدّينَ فَلا تَموُتُنَّ إلاَّ وَأَنْتُم مُسلِمُون ﴾ .

وهذا سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام يقرر لقومه إسلامه بالنص الشريف :

﴿ فَإن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنَ أَجْـرٍ إنْ أَجْرِيَ إلاَ عَلَى الله وَأُمِـرْتُ أَنَ أَكُونَ مِنَ المُسلِمينَ ﴾ .

وهذا سيدنا يوسف عليـه الصلاة والسـلام يدعـو الله بالإسـلام فنعمت الدعوة بنص الآية الشريفة :

﴿ رَبِّ قَـد آتَيْتَنِي مِنَ المُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنَ تـأْوِيـل الأَحـاَديثِ فـاَطِـرَ السَّمَـاوَاتِ والأَرض أَنَتَ وَلِيِّي في الدُّنيَـا والآخِـرةِ تَـوَفَّني مُسلِمـاً وأَلْحِقني بِالصَّالحِينَ ﴾ .

وشهد الحواريون مع سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام بالإسلام بنص الآية الشريفة :

﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الكُفْـرَ قَـالَ مَنْ أَنْصَـارِي إلَى الله قَـالَ الحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ الله آمَنَّا بالله واشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ .

وكل من اقترب أجله أو لاح في الأفق له يومه شهد بالإسلام ، فهؤلاء القوم الذين آمنوا بدعوة سيدنا موسى عليـه الصلاة والسـلام عندمـا توعـدهم فرعون بالتعذيب والقتل ودعوا الله بـالصبر دعـوة كذلـك أن يتوفـاهم مسلمين وذلك بالنص الشريف :

﴿ قَـالَ فِرعَـونُ آمَنتُم بِه قبـل أَنْ آذَنَ لَكُم إنَّ هَذَا لَمكـرٌ مكرتُمُـوهُ في المَدِينةِ لِتُخرِجُوا مِنها أَهَلَها فَسـوفَ تَعْلَمُون . لأُقَـطِّعَنَّ أَيْدِيَكُم وَأَرجُلكُم مِنْ خِلاَفٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُم أَجمعينَ . قَالُوا إنَّا إلَى رَبِّنَـا مُنَقلبُونَ . وَمَـا تَنْقِمُ مِنَّا إلاَّ أَنْ آمنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جاَءَتنَا رَبَّنَا أَفْرِغ عَلَينَا صَبراً وَتوفَّنَا مُسلِمينَ ﴾ .

بل إن فرعون نفسه عندما أدركه الغرق شهد بالإسلام وذلك بنص الآية الشريفة :

﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إسْرَائِيلَ البَحْرَ فَأَتْبَعَهُم فِرعَونُ وَجُنُودُه بَغْياً وَعـدْواً حَتَّى إِذَا أَدركَهُ الغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إلَهَ إلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِـهِ بَنُو إسْـرَائِيلَ وَأَنَـا مِنَ المُسْلِمِينَ ﴾ .

وأما لماذا يجب أن تكون مسلما فإن ذلك لأسباب كثيرة وعديدة لا يمكن أن توضع تحت حصر .

فالإسلام ليس مخالفاً لباقي الأديان فالله سبحانه وتعالى قد أنزل الإسلام ديناً كغيره من الأديان كما تقرر الآية الشريفة :

﴿شَرَعَ لَكُم مِنَ الدين مَاَ وَصَّى به نُوحاً والّذِي أَوْحَيْنَا إليَكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِه إبرَاهِيمَ وَمُوسَى وعيسى أنْ أَقِيموا الدِّينَ وَلاَ تَتَفرقُوا فيه كَبُرَ على المشرِكِينَ مَا تَدعُوهُم إليهِ الله يجْتَبِي إليهِ مَنْ يَشَاءُ ويَهْدِي إليه مَنْ يُنِيبُ﴾ .

كما أن رسوله ليس مغايراً لسابقيه فقد أوحى الله سبحانه وتعالى إلى محمد كما أوحى إلى غيره من الرسل والأنبياء السابقين بنص الآية الشريفة :

﴿ إنا أَوْحَيْنَا إلَى إبراهِيمَ وَإسمَاعِيلَ وإسْحَاقَ وَيعْقُوبَ والأسْباطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلِيمانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبوراً ﴾ .

إلا أن الإسلام هو آخر الأديان فوجب علينا جميعا اعتناقه ومحمد هو خاتم الرسل والنبيين فلزم علينا يقينا اتباعه ، وفي ذلك تقول الآية الشريفة :

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أبا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِن رَسُولَ الله وخَاتَم النَّبِيِّين وَكَانَ الله بِكُلِ شَيءٍ عَليماً ﴾ .

وكذلك فإن الإسلام دين عام للناس جميعاً وليس لقوم أو أمة ، كما أنه ليس لزمن أو جيل ، فقد أرسل الله جل شأنه للبشر رسلا لا نعرف عددهم كانت رسالاتهم لأقوامهم فقط بنص الآيات الكريمة :

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إلى قَومِهِ فَقَال يَا قَوم اعْبُدُوا الله﴾

﴿وَلَقد أَرسَلْنَا إلَى ثَمُودَ أَخَاهُم صَالِحاً أن اعبُدُوا الله﴾ .

﴿وَلَقد أَرسَلنا مُوسَى بِآياتِنَا إلَى فِرعَونَ وَمَلَئِه﴾

﴿وَإذقَالَ عِيسى آبْنُ مَريَمَ يَا بَني إسرَائِيلَ إنِّي رَسُولُ الله اليكُم﴾

بينما أُرسل سيدنا محمد ﷺ للناس جميعاً بنص مثل الآيات الشريفة :

﴿ وَمَا أرسلنَاكَ إلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾ ، ﴿ قُـل يا أَيُّهَـا النَّاسُ إنِّي رَسُولُ الله إليكُم جَمِيعاً ﴾ .

وكانت رسالات الـرسل السـابقين رسالات لأزمنـة معينة ، وممـا يؤكد ذلك أن معجزاتهم التي أيدهم الله سبحانـه وتعالى بهـا إنما كـانت معجزات وقتية يراها القوم بأعينهم فيؤمنون بالرسالة . . فهذا سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام كانت معجزته التي آمن القوم عن طريقهـا به عصـاه التي كانت تهتـز إذا ما ألقاها على حبال السحرة فتلقفها بنص الآية الكريمة :

﴿قَالَ لَهُم مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُون فَأَلْقَوا حِبالَهُم وَعِصِيُّهُم وَقَالُوا بِعِـزَّةِ فِرعَونَ إنَّا لَنحنُ الغَالِبُونَ فَأَلْقَى مُوسَى عَصاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ ما يَأْفِكُون فأُلقِيَ السَّحرةُ سَاجِدِينَ قَالُوا آمنَّا بِربِّ العَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾ .

وكانت معجزة سيـدنا عيسى عليـه الصلاة والسـلام التي أيده الله بهـا إبراءه الأكمهَ والأبرص وإحياءه الموتى وخلقه للطير من الطين بإذن الله وذلك بنص الآية الشريفة :

﴿ إذ قَالَ الله يا عيسَى ابنِ مَرْيَمَ اذكُر نِعمَتي عَلَيكَ وَعَلَى والِدَتِـكَ إذ أَيَّـدُتك بِـرُوحِ القُدُسِ تُكلمُ النَّـاسَ في المَهدِ وَكَهلاً وإذْ عَلَّمتُكَ الكِتَـابَ والحكمَةَ والتَّورَاةَ والإنجيلَ وَإذ تَخلقُ مِنَ الطِّينِ كهيئَةِ الطَّيْرِ بإذنِي وَإذ تُخـرِجُ المـوتَى بإذني وإذكَفَفْتُ بَني اسرَائِيلَ عَنْكَ إذْ جِئتهُمْ بالبينـاتِ فَقالَ الَّـذِينَ كَفَرُوا مِنْهُم إن هَذَا إلاَّ سِحرٌ مُبين ﴾ .

أما رسالة الإسلام فلأنها لكل زمن وجيل نجد ان معجزة نبي الإسـلام هي المعجزة الوحيدة على سبيل الحصر والقطع من معجزات الرسل والأنبياء التي ما زالت موجودة أمام الناس وبين يدي العـالم يستطيعـون الحكم لها أو عليهـا . فهل لـو دعونـا للدين حاليـاً أو مستقبلا بين قـوم لم تصلهم بعد أيـة رسالات دينية . . ترى هل يطمئن هؤلاء إلى معجزات تصـل إليهم أخبارهـا عن طـريق الروايـة أم ترى نجـدهم في حاجـة قاطعـة الى معجزة يلمسـونها ويحسـونها حتى يبـدأوا في دراستها ؟ . ويكـون مثلهم في ذلـك مثـل القـوم

الذين أرسلت لهم الرسل سابقاً . . كانوا لا يؤمنون إلا بمعجزة يرونها رأي العين ويناقشونها فإذا وجدوا أنها فوق ما عهدوا أو عرفوا آمنوا . فإرادة الله سبحانه وتعالى أن تكون معجزات كافة الرسل مادية ووقتية تنتهي بانتهاء حياة رسولها وأن تكون معجزة رسول الإسلام باقية مستمرة إنما يؤكد أن الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله جل شأنه لكافة البشر بعد انتهاء زمان الأنبياء السابقين على نبي الإسلام ولذلك يجب علينا ان نكون مسلمين .

ومعجزة نبي الإسلام لا يمكن لأي إنسان في أي عمر كان وفي أي عهد وأي بقعة أن يعرضها على عقله أو يلقي عليها حتى نظرة عابرة إلا ولا بد مقتنع بها مستجيب لها . . حريص عليها . . هذه المعجزة هي القرآن الكريم الذي.لا يزيده مرور الأيام إلا إشراقاً وإعجازاً وتقديراً وتعظيما ، فكلما اعتقدت أمة أنها أوضحت أوجه إعجازه وأظهرت روائع آياته جاءت بعدها أمة لتضيف أوجهاً جديدة لم تكن معروفة وتكشف عن كنوز فيه لم تكن ملحوظة . . وكلما جاء زمان حمل معه من آيات إعجاز القرآن الكريم الكثير . . يراه الأدباء فوق ما عهدوا ويشهد له البلغاء بأنه أعلى مما وصفوا . . ولقد أعجز العرب وهم أصحاب القلم وقادة الأدب . اجتمع الأدباء وتعاون الشعراء وتساند الفصحاء ليأتوا مجتمعين بسورة من مثله بل بآية مشابهة وذلك استجابة لتحدي القرآن الكريم لهم في مثل الآية الشريفة :

﴿ وَإِن كُنْتُمْ في رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلنَا عَلَى عَبدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِن مِثْلِهِ وادعُوا شُهَدَاءكُم مِن دونِ الله إن كُنتم صادِقِين ﴾ .

ولكنهم عجزوا فصدقوا وآمنوا به كقمة في البلاغة لا يرقى إليها قول بشر ، وآية في الفصاحة لا يعهدها ولا يعرفها العرب في عصرهم الذي كان عصر البلاغة والأدب ، وحتى الآن يظهر كل يوم من بلاغته وفصاحته فوق ما عرف منه وما زالت به من وجوه الفصاحة والبلاغة الكثيرة التي لم تعرف بعد .

وعندما اتجه العالم إلى وضع التشريعات وكان ذلك في عصر يسمى

بحق عصر التقنين اجتمع المتشرعون وتدارس الإخصائيون فإذا بهم يجدون أن القرآن الكريم يفوق أملهم ويسبق فكرهم وأنه أورد القوانين التي تربط كل إنسان أياً كان بغيره . . فحدد علاقة الإنسان بزوجته وحقوق زوجته عليه وعلاقته بأمه وأبيه وكذلك علاقة البيع بالشراء وتشريعات الأجل والاقتراض . . وحدود الحاكم والمحكوم . . وكافة العلاقات الإنسانية في الأوقات العادية وفي الحروب . . في الصحة والمرض . . وحتى اليوم كلما ظهر تشريع جديد واعتقد المجتهدون أنهم وصلوا في التقنين إلى أمر سديد وجدوا أن القرآن الكريم قد سبقهم إليه وأنهم بما وصلوا إليه لم يأتوا بجديد عليه . . فمثلا حقوق الإنسان التي تعتبر آخر صيحة قانونية عالمية عامة فتحتفل الدول بذكرى تقريرها تثبت الدراسات أن القرآن الكريم قد سبق بتقريرها بأربعة عشر قرنا من الزمان . . والفارق بين حقوق الانسان كما أوردها القرآن وكما أوردتها لجنة حقوق الإنسان هو نفس الفارق بين المصدرين . . فارق السماء عن الأرض .

ولما تقدمت العلوم واتسعت آفاق الفكر ووصل الانسان في ميدان العلم إلى الحد الذي أصبح عصرنا هذا يسمى بعصرالعلم كانت كل وثبةعلمية تثيرشفقة الإنسان وتبعث خوفه على معتقداته الدينية . . ولكن أظهرالعلم الحديث وجهاً جديداً من أوجه إعجاز القرآن الكريم . . ألا وهو الإعجاز العلمي . . إذ ثبت أن كل ما وصل إليه العلم من حقائق في كافة قطاعاته قد أوردها القرآن الكريم بلا لبس أو غموض . . وأن الله سبحانه وتعالى قد شاء فأورد هذه الحقائق العلمية في القرآن الكريم استمراراً لإظهار معجزة نبي الإسلام في عصر العلم . . وهكذا إن كنت أديباً قارئاً أو كاتباً . . شاعراً أو ناثرا . . أو كنت باحثا أو دارسا . . وإن كنت طالبا أو معلما . . عالما أو مكتشفا . . ومهما كانت درجة ثقافتك ولون دراستك . . في أي زمن عشت . . وفي أي جيل كنت . . فإنك ستجد أن القرآن الكريم معجزة لا يمكن ان تكون من وضع بشر . . ولو اجتمع لذلك أهل الأرض جميعا وكان بعضهم لبعض ظهيرا .

ويجب أن تكـون مسلما لأن كتـاب الإسلام هـو الكتـاب الـوحيـد من الكتب السماوية الذي أراد الله أن يحفظه من أي عبث فـظل كما أنـزل حتى الآن بلا تغيير أو تحريف أو زيادة أو تبديل . فالقرآن الكـريم الذي نتلوه الآن هـو نفس ما تـلاه سيدنـا رسول الله على صحـابته يـوم أوحى الله به سبحـانه وتعالى إليه ، وسيـظل هكذا بعيـداً عن أي إضافـة أو نقصان ، بـل إن الذين كانوا يكسبون الوحي من سيدنا رسول الله وسجلوه عن طريق سمـاعهم منه ، منهم من أضـاف الألف بـدلا من المـد أو حـذف الألف أو أضـاف يـاء على أخرى وكتبت التاء مفتوحة بدلا من المقفولة في موضع وحتى اليوم ظلت هذه الكلمات كما هي بدون أي تصويب في الهجـاء الذي كتبـه كاتب الـوحي ، فنرى في المصاحف لأذبحنه بزيادة الألف في نص الآية الشريفة :

﴿ لأعَذِّبَنَّه عَذَاباً شديداً أو لَأَذبَحَنَّه أو لَيأتيَني بسُلطَانٍ مُبِينٍ ﴾ .

وكذلك بأيد كتبت بياءين بالنص الكريم :

﴿ والسَّمَا بَنَيْنَاهَا بِأَييدٍ وإنَّا لَمُوسِعُون ﴾

وكتبت امرأة فرعون بالتاء المفتوحة وكذلك قرة عين لي ولك في نص الآية الشريفة :

﴿ وَقَالَت آمرأتُ فِرعَون قُرَّتُ عينٍ لي وَلَكَ ﴾

ونعمة الله كتبت بتاء مفتوحة في الآية الكريمة :

﴿ واذكُـرُوا نِعمَتَ الله عَلَيكم وَمَـا أنزَل عَلَيكُم من الكِتَـابِ والحِكَمَـةِ يَعظَكُم بِهِ ﴾ .

ولم يحـاول أي مسلم في أي عهد خـلال الأربعة عشـر قرنـا أن يغيـر حتى من صـورة اللفظ فيحـذف هـذه الألف الـزائـدة أو يقفـل هـذه التـاء المفتوحة . فأين ذلك مما حدث في الكتب السماوية السابقة كلهـا على وجه الإطلاق ؟ بل أين التوراة . . وأين الإنجيل ؟

فهل يمكن أن يكون الله سبحـانه وتعـالى قد أوحى إلى سيـدنا مـوسى

توراة تتهم الأنبياء بكل الخطايا وأكبر الـذنوب ؟ فتقـرر أن سيدنـا لوط شـرب الخمر وزنا بابنتيه بنص ما جاء في سفر التكوين الاصحاح التاسـع عشر وهـو (وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معـه . لأنه خـاف أن يسكن في صوغر فسكن في المغارة هو وابنتاه وقالت البكـر للصغيرة أبـونا قـد شاخ وليس في الأرض رجـل ليدخـل علينا كعـادة كل الأرض . هلم نسقي أبـانـا خمراً ونضطجع معه لنحي من أبينا نسلا . فسقتا أباهمـا خمراً في تلك الليلة ودخلت البكـر واضطجعت مـع أبيها) إلى أن تقـول (فحبلت ابنتـا لـوط من أبيهما) وأن سيدنـا نوح شـرب الخمر وسكـر وتعرى بنص مـا جاء في سفـر التكوين الإصحاح التـاسع وهـو (وابتدأ نـوح يكون فـلاحاً وغـرس كرمـا . وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه) وأن سيدنا إبراهيم يكذب بنص مـا جاء في سفـر التكوين الإصحـاح السادس والعشـرون وهو (وسـأله أهـل المكـان عن امرأتـه فقـال هي أختي) . . وأن يعقـوب قـدم إلى أبيـه اسحق الخمر بنص الاصحاح السابع والعشرين من سفر التكوين وهو (فقال قدم لي لآكل من صيد ابني حتى تبـاركك نفسي . فقـدم له فـأكل وأحضـر له خمـراً فشـرب) . . وإن يهوذا زنى بكنتـه على أنهـا زانيـة بنص الإصحـاح الشـامن والثلاثين من سفر التكوين وهو (ونظرها يهوذا وحسبها زانية . لأنها كانت قد غطت وجهها . فمال إليها على الطريق وقال هاتي أدخل عليـك لأنه لـم يعلـم أنها كنتـه) . . ومن الأخـطاء المـوجـودة في التـوراة المتـداولـة مـا جـاء في الإصحـاح الثالث والعشـرين من سفر التثنيـة ونصه (لا يـدخـل ابن زنى في جماعة الرب حتى الجيل العاشر لا يدخل منه أحد في جماعة الرب) وسيدنا داود يعتبـر رئيس الجماعـة والولـد البكر لله على وفق مـا جـاء فيهـا وهـو من الجيل الخامس لفـارص وفارص ابن زنـا بنص الإصحاح الشـامن والثلاثين من سفر التكوين .

ومن المتناقضات فيها أن في سفر الخـروج الإصحاح الشـالث والثلاثين نجد النص (ويكلم الرب موسى وجهاً لوجه كما يكلم الرجـل صاحبـه) . . وفي نفس السفر ونفس الإصحاح تقرر أنه لا يمكن أن يرى موسى الله بالنص (وقال لا تقدر أن تـرى وجهي . لأن الإنسان لا يـراني ويعيش) . . ثم نجد

كذلك ان عاموس واشعياء ويشوع وجدعون وابراهيم ويعقوب وإسحق ومنوح قد رأوا الرب جميعاً .

وهل يمكن أن تكون هذه هي التوراة وفيها تسند الى الله ما لا يجوز وما يجب علينا أن نستغفر بعد قراءته فنقول إن الله سبحانه وتعالى قد أمر سيدنا موسى أن يطلب من قومه أن يسلبوا المصريين بنص الاصحاح الثالث من سفر الخروج ونصه (فيكون حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين . بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً وتضعونها على بنيكم وبناتكم . فتسلبون المصريين) . وإن سيدنا موسى كان أكثر حلما من الله سبحانه وأن الله قد ندم على الشر الذي أراده لعباده وذلك بنص ما جاء في الإصحاح الثاني والثلاثين من سفر الخروج وهو (وقال الرب لموسى رأيت هذا الشعب وإذا هو شعب صلب الرقبة . فالآن أتركني ليحمى غضبي عليهم وأفنيهم) إلى أن تقول إن موسى قال (أرجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك . اذكر ابراهيم واسحق وإسرائيل عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك وقلت لهم أكثر نسلكم كنجوم السماء واعطي نسلكم كل هذه الأرض التي تكلمت عنها فيملكونها إلى الأبد . فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه) ومثل ذلك كثير .

فهل يمكن أن يزني الأنبياء ويشربون الخمر ويأتون المنكر ثم يدعون اقوامهم الى اجتنابها ؟ وكيف يستقيم الأمر وهم يدعون الى الخير ويقترفون الشر ؟ . . أيكون هذا هو الحق في أمرهم . . أم ما يقوله القرآن الكريم عنهم في مثل الآيات الكريمة :

﴿ وَلُوطاً آتيناهُ حُكماً وَعِلماً وَنَجَّيْناهُ مِنَ القَريةِ الَّتي كانَت تَعْمَلُ الخَبائِثَ إنَّهمُ كانُوا قَومَ سُوءٍ فَاسِقِينَ وَأدخلنَاهُ في رحْمَتِنا إنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ، ﴿ كَذَّبت قَومُ نوحٍ المُرسَلِينَ . إذ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُم نوحٌ أَلاَ تَتَّقُونَ . إني لَكُم رَسُولٌ أمينٌ . فَاتَّقوا الله وأطِيعُون) ، ﴿ سَلاَمٌ على إبْراهَيم . كَذلِكَ نجزي المُحسِنِينَ . إنّهُ من عِبَادِنَا المؤمنين ﴾ .

أليست هـذه هي حقيقـة الـرسَل والأنبيـاء الـذين اصـطفـاهم الله لرسالته ؟ . .

أمـا إنجيل سيـدنـا عيسى عليـه الصـلاة والسـلام فقـد فُقِـدَ ، وذلـك بـاعتراف المسيحيين أنفسهم ، وأمـا الأناجيـل المتـداولـة فهي كتـابـات عن المسيح كتبت بعد وفاته بمدد طويلة فيقول الكاتب الفونس دينيه ما نصه (إنه لا شـك في أن الله قد أوحى الانجيـل إلى عيسى بلغته ولغـة قومـه ولا شك أيضا أن هذا الانجيل قد ضاع واندثر ولم يبق له أثر أو أنه بـاد أو أبيد ولهـذا قد جعلوا مكانه توليفات أربعا مشكوكا في صحتها وفي نسبتها التاريخية كمـا أنها مكتوبة باللغة اليونانية وهي لغـة لا تتفق طبيعتها مـع لغة عيسى الأصليـة التي هي لغة سامية ، لذلك كانت صلة السماء بهذه الأناجيل اليونانية أضعف بكثير من صلتها بتوراة اليهود . وإن في الأناجيل ما يتنافى مع الصورة المثلى للإنسان الكامل فضـلا عن الصورة التي تـريد المسيحيين أن تـوحي بها فمن أقوال المسيح التي فيها حطة واحتقار لأمه العذراء ما صدر منه في عرس قانـا (وفي اليوم الثالث كـان عرس في قـانا الجليـل وكانت أم يسـوع هناك ودعـا أيضاً يسوع تلاميذه الى العرس ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له ليس لهم خمر قال يسوع مالي وما لك يا امرأة) انجيـل يوحنـا الاصحاح الثـاني عشر . ومن أقواله التي تحمل في طياتها اللعنة على شجرة تين لم تحمل ثمرها لأنـه لم يكن موسم تين (فنظر شجرة تين من بعيد عليها ورق وجاء لعله يجد فيها شيئاً فلما جاء إليها لم يجد شيئاً إلا ورقا . لأنه لم يكن وقت التين . فأجاب يسوع وقال لها لا يأكل احد منك ثمرا بعد إلى الأبد وكان تلاميـذه يسمعون) انجيل مرقس الاصحاح الحادي عشر .

وكذلك من أقواله الدالة على كره الغريب (وإذا امرأة كنعانيـة خارجـة من تلك التخوم صرخت إليه قائلة ارحمني يا سيد يا ابن داود ، ابنتي مجنونة جـداً ، فلم يجبها بكلمـة ؛ فتقدم تـلاميذه وطلبـوا اليه قـائلين اصرفهـا لأنها تصيح وراءنا فأجاب وقال لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة) .

ويقول ارثر فندلاي في كتابه (الكون المنشور) ما نصه (إن الأناجيل

لا تعتبر وثائق تاريخية فأولها والذي باسم مرقس كتب بطريقة مبسطة حوالي سنة ٧٠ ميلادية واقتفى أثره لوقا فيما بين سنة ٨٠ إلى سنة ٨٥ وحتى حوالي سنة ١٠٠ وأما الإنجيل المنسوب إلى يوحنا الذي أخرج سنة ١١٠ وليس له قيمة تستحق المناقشة اذ ان محتوياته يعتقد أنها من نسج خيال كاتبه ثم ترجمت الأناجيل بعد ذلك من اللغة الآرامية الشرقية إلى اللغة اليونانية ثم إلى اللغة اللاتينية فحدثت لذلك أخطاء كثيرة إذ أن الكلمة الآرامية قد يكون لها ست أو سبع معان مختلفة) .

ويقول المؤرخ العالمي هـ . ج . ولز في موسوعته (معالم تاريخ الإنسانية) ما نصه (يشعر المرء أن ذات عيسى النحيلة المكدودة قد آذاها كثيراً ذلك الوهم وتلك التقاليد اللذان فرضهما على صورته تبجيل أجوف . كان عيسى معلما ذا خصاصة يتجول في أرض يهودية متربة لافحة الشمس ويعيش على هبات عرضية من الطعام ومع ذلك فإنه يصور على الدوام نظيفا ممشط الشعر مرجله صقيل الاهاب نقي الثياب مستقيم العود ومن حوله سكون لا يريم كأنما هو ينزلق في الهواء وهذا وحده قد جعله وهماً لا يؤمن به الكثير من الناس . وربما كانت الأجزاء الأولى من الأناجيل استطرادات من نفس هذا الطراز فإن المعجزات المتصلة بمولد عيسى وذلك النجم العظيم الذي جلب الحكماء من الشرق ليعبدوا الله عاكفين عند مهده في المذود ومذبحة الأطفال الذكور في ناحية مصر إنما هي أمور يظنها كلها كثير من الثقات من أمثال تلك المواد المزيدة وكذلك الشأن في مسألة النسب الشاذ المتناقض التي أوردها متى ولوقا) .

ولا يقتصر الخلاف بين إنجيل متى وإنجيل لوقا في نسب السيد المسيح على أسماء الآباء والأجداد فقد يقول قائل إن الاسم يختلف في النطق باختلاف لهجة السكان أو الزمان أو أن الأب كان له أكثر من اسم ولكن الخلاف في عدد الأجيال بين سيدنا إبراهيم وبين سيدنا المسيح في كل من الإنجيلين ، ففي إنجيل متى نجد ان سيدنا إبراهيم هو الجد الأربعين لسيدنا عيسى بينما في إنجيل لوقا تجده الجد الخامس والخمسين .

والخلاف في خمسة عشر جيلا إنما يعني خلافاً في التاريخ لعدة قرون وهو اختلاف جد خطير .

ويقول الدكتور نصيف إسحق في كتابه (قصتي في الروحية) وتحت عنوان (الكتاب المقدس) ما نصه : (لقد كان كل الجنس البشري وليست الأغلبية يعتقد بأن الشمس تدور حول الأرض وأن الأرض مركز الكون إلى أن كشف لنا العلم الحقيقة وإذ بها خلاف ما كان مسلّماً به ، والكتاب يروي لنا أن يشوع أوقف الشمس في كبد السماء ولم تعمل للغروب نحو يوم كامل . وهذا يظهر الإله الذي أوحى الكتاب بمظهر الجاهل بأسرار خلقته ألم يكن يعرف أن الأرض كروية وأنها تدور حول الشمس حتى يسمح بكتابة ما ذكر عن يشوع بكتابه) ثم أورد بعضاً من المتناقضات في الأناجيل واعترض على ما فيها من تشبيهات استخدمت فيها معاني لا يجوز ذكرها إلى أن يقول (قصص غرامية ساقطة أستنكف أن أذكرها في كتاب لي فما بال العزة الإلهية منبع الطهارة وأصل النور والقداسة) . . وبعد دراسة لهذه الكتب يقول أيضاً (إني وإن كنت لا أعترف بالكتاب المقدس ككتاب منزل من لدن عزيز حكيم إلا أنني لا أرفضه ككتاب يحوي حكم الأقدمين وبعض تواريخ صادقة ولكني أرفض كل ما يناقض العقل وآخذ ما فيه من الحقائق التي لا تتغير بتغير الزمن إذ أن نواميس الطبيعة هي هي أمس واليوم والى الأبد) .

وليس أدل على أن التوراة والأناجيل قد نالها التحريف مما أعلن أخيراً من أن بعض علماء اليهود يجتمعون منذ عشر سنوات يدرسون التوراة لإعادة ترجمتها بما يتمشى ومستلزمات الدعوة الدينية في العصر الحديث . كذلك ما عثر عليه أخيراً من مخطوطات مسيحية حالياً فيقول باول ديفز رئيس كنيسة كل القديسين في واشنطن في كتابة « مخطوطات البحر الميت » ما نصه : « إن مخطوطات البحر الميت وهي من أعظم الاكتشافات أهمية منذ قرون عديدة قد تغير الفهم التقليدي للإنجيل » . ويقول عنها و . ف . البرايت الحجة في علم آثار الإنجيل ما نصه « تهاني على اكتشاف أعظم مخطوط وجد في العصر الحديث فوق هضبة بجوار البحر الميت وأنه لا يوجد أدنى

شك في العالم حول صحة هذا المخطوط وسوف تعمل هذه الأوراق ثورة في فكرتنا عن المسيحية » .

ويجب أن تكون مسلماً لأن الإسلام يدعو إلى الإيمان بالأديان السابقة والتصديق بالكتب السابقة ، والشهادة للرسل الذين أرسلوا في العهود الماضية ، بل ولا يفرق بينهم فكلهم عباد الله ورسله الذين أرسلهم سبحانه وتعالى ، فوجب ألا يفترق الواحد عن الآخر في القدر أو الدرجة ، وفي ذلك يقول القرآن الكريم :

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إلَيه مِن رَبِّهِ وَالمؤمِنُونَ كلٌّ آمَنَ بِالله وَمَلائِكَتِه وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَينَ أَحَد مِن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإلَيكَ المَصِيرُ ﴾ .

ولهذا فإن دعوته لا تخالف دعوة الأديان السابقة ولكنها تحرر العقيدة من كل تغيير طرأ عليها بالتحريف العمد ومن كل تعقيد أدخل فيها عن طريق الخطأ أو القصد .. فكل الأديان باعتراف الجميع من الله ، فهل تدعو الأديان إلا إلى عبادة الله ؟ .. وهذه هي دعوة الإسلام .. عبادة الله وحده بنص مثل الآيات الشريفة :

﴿ قُل إنَّما أُمِرتُ أَن أَعْبُدَ الله وَلاَ أُشرِكَ بِهِ إلَيْهِ أَدعُو وَإلَيهِ مَآب ﴾ ، ﴿ يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا واسْجُدُوا واعْبُدُوا رَبَّكُم وَافْعَلوا الخَيرَ لَعَلَّكُمْ تُفلِحُونَ ﴾ .

ويجب أن تكون مسلماً لأن دعوة نبي الإسلام لا بد أن تكون دعوة صادقة فليس له من ورائها قصد أو غرض ، بل إن الأنبياء والرسل ممن سبقوه كانت أقوامهم تعتبرهم فوق البشر وتعطيهم من الحقوق ما ليس لهم ولكنه ﷺ كان ينتهز كل فرصة ليعلن مساواته التامة بغيره من العباد وأنه بشر ، شأنه شأن غيره ، والقرآن الكريم الذي هو أساس الدعوة الإسلامية ودستورها وكتاب المسلمين ليقرر ذلك بلا لبس أو غموض ، وفي آيات كثيرة مثل :

﴿ قُـل إنَّما أنَـا بَشَرٌ مِثلكُمْ يُـوحَى إليَّ أنَّمَا إلَهُكُـمْ إلَهٌ وَاحدٌ ﴾ ، ﴿ قُـل سُبحَانَ رَبِّي هَل كُنْتُ إلاَّ بَشَراً رَسُولاً ﴾ . .

ويقرر كذلك انه ﷺ لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضراً بنص الآيـة الشريفة :

﴿ قُلْ لا أملِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرًّا إلاَّ مَا شَاءَ الله وَلَو كُنتُ أَعْلَمُ الغَيبَ لاستَكْثَرْتُ مِن الخَيرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إن أَنَا إلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقوم يُؤ مِنُون ﴾ .

وإن المغفرة والهداية بيد الله سبحانه وتعالى ، وإن الرسـول مهما استغفـر لقوم أو أراد هدايتهم فإن الأمر لله وحده إذ تقول الآيات الشريفة :

﴿ آستغْفِرْ لهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبعين مَرّةً فلن يَغفِرَ الله لَهُمْ ﴾ ، ﴿ إنَّـك لا تَهْـدِي مَنْ أحبَبتَ وَلكِنَّ الله يَهْـدِي مَن يَشـاءُ وَهُــو أعلمُ بالْمُهتدِينَ ﴾ .

فهـل يكون الـرسول الصـادق الأمـين قـد افتـرى هـذا الـدين ؟ ولأي غرض ؟ أيكون افتراه ويتلو آيات كريمة هذا نصها :

﴿ أَم يَقُـولُـون افتَـراهُ قُـلْ إن افتَـرَيْتُـهُ فَعَـليَّ إجْـرَامِي وَأنـا بَـريءٌ ممَّا تجرِمُون ﴾ ، ﴿ أَمْ يَقُولون افتراهُ قُل إن افْتَريتُهُ فَلاَ تملِكُونَ لي مِنَ الله شيئـاً هُوَ أعلمُ بما تُفِيضُونَ فِيهِ كفى بِهِ شهيداً بَيني وَبَينكُمْ وَهُوَ الغفُورُ الرَّحيمُ ﴾ .

ويجب أن تكون مسلما لأن الإسلام هو دين العقل وكل ما يقـرره طالبنـا بأن نعرضـه على العقـل فلا إيمـان بما ينـافي أو يعارض مـا يقبله العقل ولـذلك تتكرر الآيات الشريفة في القـرآن التي تخاطب العقـلاء وتحتكم الى العقل مثـل الآيات الشريفة :

﴿ قَدْ بَيَّنَّا لَكُم الآياتِ لعلّكم تَعقِلُونَ ﴾ ، ﴿ كِتابٌ أنزلنَاهُ إليكَ مُباركٌ ليدَّبّروا آياتِه وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الألبابِ ﴾ ، ولذلك طالب بعدم إكراه الناس على قبول هذا الدين بعد أن تبين الحق من الباطل فتقول الآية الشريفة :

﴿ لاَ إكراهَ فِي الدينِ قَد تَبيَّنَ الرُّشدُ مِن الغَيِّ ﴾ .

وأن تكون الدعوة إلى هذا الدين ـ لأنه دين العقل ـ عن طريق الحكمة والموعظة الحسنة بنص الآية الشريفة :

﴿ أُدعُ إلى سَبِيل رَبِّكَ بِالحِكْمةِ والمَوعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجادِلْهُمْ بالتي هِي أحسَنُ إنَّ رَبَّكَ هُوَ أعلمُ بِمَن ضَلَّ عن سَبِيلِه وَهُوَ أعلَمُ بِالمُهْتَدِينَ ﴾ . .

ويجب ان تكون مسلما لأن الإسلام دين لا تعقيد فيه ، ويتمشى مع المنطق والمشاهدة والعقل ، فالله واحد أحد فرد صمد منزه عن الوالد والولد لا شبيه له . . لا وساطة بينه وبين عباده . . فهو خلقهم بلا وساطة . . فيجب أن تكون عبادتهم له بلا وساطة . . رسله الذين أرسلهم لهداية البشر عباد كانوا يأكلون ويشربون . . ويمرضون ويبرأون ، وفي جهادهم كانوا ينهزمون وينتصرون . . فلما انتهت حياتهم جرى عليهم ما يجري على باقي العباد من موت وانتقال ، فانتقلت أرواحهم كما تنتقل أرواح غيرهم إلى حياة أخرى كل في درجته . . على حسب عمله . . فهم إذاً كما كانوا في حياتهم . . لا يملكون نفعاً ولا ضرا . . فلا حساب للإنسان إلا على عمله . . وعمله فقط . . أليس هذا هو ما يتمشى مع العقل والمنطق ؟ هذه هي عقيدة الإسلام . . عقيدة قوية قاطعة . . لا تعقيد فيها ولا عقيدة غيرها تماثلها . . لأنها الحق . . ولا غيرها يدانيها . . تقول آيات القرآن الكريم :

﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوفِّيهِمْ أعمَالَهُمْ وَهُمْ لا يُظلَمُون ﴾ ، ﴿ فَمنْ يَعْمَلْ مثقال ذَرةٍ خيراً يَرَهُ وَمَن يَعملْ مِثقَالَ ذرّةٍ شَراً يَرَهُ ﴾ .

أليس ذلك هو العدل المطلق ؟ وهل يقبل العقل غير ذلك ؟ أيكون هذا هو الحق . . أم ما يعتقده بعض الناس من الكفارة والفداء والتي تنسحب إلى أزمنة ممعنة في القدم . . ثم تناقلها الرواة ؟ . . يقول المؤرخ العالمي ويلز في « معالم تاريخ الإنسانية » ما نصه :

(من الحقائق الثابتة أن ما في الأناجيل من مجموعة الأخبار اللاهوتية التي تكون المبادىء المسيحية الطقوسية لا تجد إلا تأييداً طفيفا جديدا إذ لا يوجد في هذه الكتب كما قد يرى القارىء بنفسه ما يدعم ويؤيد كثيراً من تلك

المبادىء التي يجدهامعلمو المسيحية على اختلاف نحلهم ضرورية بوجه عام للخلاص فإن سندها من الإنجيل غالبا ما يكون سنداً غير مباشر ومعتمدا على الإشارة ، فلا بد إذن من تصيدها وبحثها . وفيما عدا بعض فقرات لا تخلو من المنازعات فمن العسير أن تجد أية كلمة تنسب فعلا إلى عيسى فسر فيها مباديء الكفارة والفداء أو حض فيها أتباعه على تقديم القرابين أو عشاء رباني) .

ويقول الدكتور نصيف إسحق في كتابه « قصتي في الروحية » عن آيات الكفارة والفداء ، ما نصه :(هذه كلها آيات كتابية نؤيد ما تدعو إليه من إيمان بكفارة المسيح وفدائه وما إلى ذلك من المعتقدات الوثنية والتي توارثتها الكنيسة عما سبقها من أديان ظهرت في مختلف البلدان وعلى مر العصور . فقديما كانت القبيلة تضحي بشخص يقدم نفسه ذبيحة حية فدية عن باقي أفراد القبيلة وذلك إرضاء للآلهة واتقاء لغضبها ومع تقدم الإنسان عقلياً أبدل تضحية الإنسان بذبح الحيوان . إنها الوثنية في ثوب المسيحية ، فهذه هي لغة الإنسان الهمجي الذي يشترط سفك الدماء وإهراقها لضمان الكفارة والغفران ، وإلى غير ذلك من الخرافات . والفرق الوحيد هو ان فكرة الغفران نمت بنمو الأسرة الإنسانية وبدل مخلص قبيلة أو شعب أصبح مخلصا للبشرية أجمع والتاريخ طافح بأمثال أولئك المخلصين الذين ظهروا في مختلف البلدان ككرشنايسوس بالهند ومترا ببلاد العجم وأوزيريس بمصر وقد بلغوا جميعاً خمسة عشر مخلصاً ، وكان الناصري السادس عشر . هؤلاء وغيرهم ألَّههم البشر ونسبوا إليهم المعجزات سواء في ولادتهم أو حياتهم وحتى يوم مماتهم وأخيراً جاء الناصري ، وكان ما كان بمجمع نيقية من احتدام ونقاش حول ألوهيته وبأغلبية ضئيلة تغلب الرأي المناصر فرفع إلى مصاف الآلهة . وبهذا القرار دفنت المسيحية الأولى في القبر الذي حفره لها هذا المجمع فانعدمت تعاليم الناصري الطاهرة ليحل محلها تعاليم وخرافات الأديان السابقة) .

ولنا أن نسأل كيف يحاسب المسيح على خطيئة لم يرتكبها ؟ وأي شريعة ترضى بذلك ؟ . . . ثم إذا كان الصلب والقتل هو للتكفير عن خطيئة آدم وذريته . . فلنا ان نسأل ما موقف البشر منذ آدم الى عهد المسيح ؟ . . . هل

كانوا في عذاب إلى أن افتداهم بنفسه ؟ . . . ثم يا ترى ما موقف البشر بعد المسيح ؟ . . والى الآن . . وإلى أن تقوم الساعة ؟ هل يشملهم فداءه . أم يكون الفداء فقط لمن سبقوه ؟ . فإذا كان يشملهم فكل من أخطأ لن يحاسب . فيستوي القاتل والمقتول . والسارق والمسروق . . وهذا أمر يتنافى مع ما جاء به الدين . . أي دين . . ويجافي ما جاء في الأناجيل نفسها . . وإذا كان لا يشملهم فهل يأتي فداء آخر ؟ . . أم لا يأتي . . فإذا لم يأت . . لا تتحقق بذلك العدالة بين البشر قبل المسيح وبعده . . وإذا كان سيأتي فداء . . فلماذا يظل بعض الناس في ظل عذابهم مما فعلوا بعد الموت مدداً أطول من غيرهم تتناسب وبعد مدة موتهم عن قيام الفداء ؟ ثم كيف يقدم الله سبحانه وتعالى الفداء ليكون سبباً للمغفرة . . أليس الله هو الذي يملك المغفرة وحده ؟ فإن شاء غفر وإن شاء لا يغفر . . أرأيت إنساناً أخطأ ابنه أو تابعه . . فبدلا من أن يعتذر المخطىء . . أو يفرض صاحب الحق عليه الجزاء نجده يختار غيره من الصالحين الطاهرين المستقيمين فيوقع عليه أقسى العقاب . . الصلب والقتل جزاء جرم ارتكبه من لا يعرفه ولا دخل له في ذنبه ؟ والقياس مع الفارق . . الفارق الكبير جداً ولهذا فإن عقيدة الكفارة والفداء أصبحت موضع بحث وجدل بين المسيحيين أنفسهم وظهرت بعض الآراء التي تعارض هذه العقيدة منها ما يقوله روي ديكسون سميث في كتابه (ضوء جديد على البعث) ونصه : (لا يوجد متدين مهما كان مذهبه أو فرقته يعتقد أنّ الله العظيم قد أرسل ابنه الوحيد إلى هذه البشرية التي لا توازي في مجموعها منذ بدء الخلق إلى نهايته كوكبا من الكواكب المتناهية في الصغر لكي يعاني موتاً وحشيا فوق الصليب لترضية النقمة الإلهية على البشرية ولكي يساعد جلالته على أن يغفر للبشرية على شرط أن تعلن البشرية اعترافها بهذا العمل الهمجي الذي لا يستسيغه عقل ألا وهو الفداء) .

أما قصة الصلب والقتل فإن الدراسات التي قام بها العلماء إنما تؤكد ما جاء في القرآن الكريم بشأنها في النص الشريف :

﴿ وَقَولهم إنَّا قَتلْنا المَسيحَ عِيسىَ ابن مَرْيَم رَسُولَ الله وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا

صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُم وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إلا اتِّباعَ الظَّنِّ وما قَتَلُوهُ يَقِيناً ﴾ .

فيقول هـ . ج . ولز في « معالم تاريخ الإنسانية » تحت عنوان (صلب يسوع الناصري) ما نصه :(ولم يكن بد من أن يحاول بسطاء المؤمنين أن يهولوا في عنف الذعر من هذه المأساة بأقاصيص سخيفة عن اضطرابات ألمت بالطبيعة تشابه تلك التي اختلقت لتوكيد اهتداء جو تاما إلى الطريق السوي ، فإنهم يخبروننا أن ظلمة عظيمة قد غشيت الأرض وأن ستار الهيكل قد انشق شطرين . ومن اليسير علينا في هذه الأيام أن نصدق أن نظم الطبيعة قد سمحت لنفسها بالانغماس في مثل هاته التعليقات الجوفاء ، وقد غمرت أرواح التلاميذ زماناً مع ظلمات دامسة . ثم ما لبثوا ان دب بينهم تهامس ثم أقاصيص متناقضة أو تكاد بأن جسم يسوع ليس في القبر الذي وضع فيه وأن واحداً منهم ثم آخر قد رآه حياً وسرعان ما أخذوا يعزون أنفسهم بالاعتقاد في انه قد بعث من بين أهل القبور وأنه قد عرض نفسه على الكثيرين ثم صعد على مرأى من الناس الى السماء ، وجيء بشهود أعلنوا بلهجة التأكيد القاطع انهم رأوه يصعد بجسمه ظاهراً للعيان ولقد ذهب يطوي طباق السموات الزرقاء إلى الرب ، وسرعان ما ألقوا في روع أنفسهم أنه لا بد عائد من فوره في قوة ومجد ليحكم البشرية كافة وقالوا إنه يعود إليهم بعد برهة وجيزة وقد غاب عنهم وهم ينعمون بإحياء حلمهم القديم البراق بمجد دنيوي أكيد ذلك المعيار الأعظم المعيار العاتي الذي خوله لهم عيسى من ملكوت الله) .

والمتدبر لما جاء في الأناجيل عن هذه الواقعة ليستطيع أن يصل الى الحقيقة فيها واضحة فقد تقدم أحد تلاميذ السيد المسيح لأعدائه وأبدى استعداده أن يقدمه لهم خيانة منه فيرشدهم الى مكانه في فرصة مواتية ، وذلك بنص ما جاء في الإصحاح السادس والعشرين من إنجيل متى ونصه : (حينئذ ذهب واحد من الاثني عشر الذي يدعى يهوذا الاسخريوطي إلى رؤساء الكهنة . وقال ماذا تريدون أن تعطوني وأنا أسلمه إليكم . . فجعلوا له ثلاثين من الفضة ، ومن ذلك الوقت كان يطلب فرصة ليسلمه) . . . وأوحى له

سبحانه وتعالى إليه بموعد تنفيذ هذه الخيانة . وكان الوقت ليلا حينما تقدم الأعداء للقبض على المسيح الذي كان قد خرج من مكانه وذلك بنص ما جاء بإنجيل مرقس الإصحاح الرابع عشر إذ يقول : (ثم رجع ووجدهم أيضاً نياماً إذ كانت أعينهم ثقيلة فلم يعلموا بماذا يجيبونه . ثم جاء ثالثة وقال لهم ناموا الآن واستريحوا ، يكفي . قد أتت الساعة . هو ذا ابن الإنسان يسلم إلى أيدي الخطاة قوموا لنذهب ، هو ذا الذي يسلمني قد اقترب) . . . وذهب قطعاً . . ودخل الأعداء ولم يجدوه . . وإنما وجدو يهوذا . . وفي الظلام اعتقدوا أنه هو . . وكلما أنكر . . كلما ازدادوا اعتقاداً بأنه هو . . ويؤيد ذلك أن بطرس وكان أحد تلاميذ المسيح أقسم أكثر من مرة أنه لا يعرف الرجل المقبوض عليه وذلك بنص ما جاء في إنجيل متى الاصحاح السادس والعشرين (أما بطرس فكان جالساً خارجاً في الدار . فجاءت إليه جارية قائلة وأنت كنت مع يسوع الجليلي . فأنكر قدام الجميع قائلا لست أدري ما تقولين ثم إذ خرج الى الدهليز رأته أخرى فقالت للذين هناك وهذا كان مع يسوع الناصري . فأنكر أيضا بقسم اني لست أعرف الرجل . وبعد قليل جاء القيام وقالوا لبطرس حقا أنت أيضا منهم فإن لغتك تظهرك . فابتدأ حينئذ يلعن ويحلف إني لا أعرف الرجل) .

وتؤكد الأناجيل أن السيد المسيح كان بعد هذه الحادثة جسما وروحا بما يؤيد أن من صلب وقتل هو غيره والذي خانه ، ففي إنجيل متى نجد في الإصحاح الثامن والعشرين النص الآتي : (وفيما هما منطلقتان لتخبرا تلاميذه إذا يسوع لاقاهما وقال : سلام لكما . فتقدمتا وأمسكتا بقدميه وسجدتا له . فقال لهما يسوع لا تخافا . اذهبا قولا لإخوتي أن يذهبوا الى الجليل وهناك يرونني) . . أسلوب واضح يقطع بنجاة السيد المسيح ، وإصراره أن يعلن هذه النجاة لتلاميذه ، ويؤكد إنجيل لوقا ذلك إذ يقرر أن تلاميذه خافوا لما رأوه ، فقال لهم . لا تحسبوني روحا . . إنما أنا جسد أي أنه نجا وذلك بنص الإصحاح الرابع والعشرين (وفيما هم يتكلمون بهذا وقف يسوع نفسه في وسطهم وقال لهم سلام لكم فجزعوا وخافوا وظنوا أنهم نظروا روحاً . فقال لهم ما بالكم مضطربين ولماذا تخط أفكار في قلوبكم ؟ انظروا يدي ورجلي إني

أنا هو . جسوني وانظروا فإن الروح ليس له لحم وعظام كـما ترون لي . وحـين قال هذا أراهم يديه ورجليه . وبينما هم غـير مصدقـين من الفرح ومتعجبـون قال لهم أعندكم ههنا طعام ؟ فناولوه جزءاً من سمك مشـوي وشيئا من شهـد عسل . فأخذوا كل قـدامهم) . . . أي أنه أراد أن يثبت لهم انـه حيا جسـداً وروحاً وأنه يأكل . . .

ولكن لأن الفداء إنما تواتر على أنه بالدم المسفوك نجد أن إنجيـل يوحنـا يقـرر ان يسوع قـد خرج منـه الدم والماء وذلك بـالنص الـوارد في الإصحـاح التاسع عشر (وأما يسوع فلما جاءوا إليه لم يكسروا ساقيه لأنهم رأوه قد مات . لكن واحداً من العسكر طعن جنبه بحربـة وللوقت خرج دم ومـاء) . وبديهي أن في هذا القول تناقض وأي تناقض فالميت لا يخرج منه الدم .

وعلى ذلك يكـون السيد المسيـح لم يصلب ولم يقتل ولكنـه مات بعـد أن انتهى أجله ورفعه الله سبحانه وتعالى إلى منزلته كما رفع الأنبياء إلى منازلهم . . وغادر حياته الدنيا الى حياة الآخرة كما يغادرها كـل إنسان وقـد استند الـدكتور نصيف إسحق في كتابه (قصتي في الروحية) إلى ما ورد في الإصحاح الخـامس عشر من رسالة بولس الرسول الأولى ليؤكد هذا المعنى إذ نجـد نص الإصحاح (فإن لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قـام وإن لم يكن المسيح قـد قام فباطلة كرازتنـا وباطـل أيضا إيمـانكم . ونوجـد نحن أيضاً شهـود زور لله لأننا شهدنا من جهة الله أنه أقام المسيح وهو لم يقمه إن كان الموتى لا يقومون . لأنه إن كان الموتى لا يقومون فلا يكون المسيح قد قام) ثم يقول الدكتور نصيف ما نصه (منطق في غاية البسـاطة لا يحتـاج إلى تفسير المفسـرين فيطمسـون رونقه ويخفون جمالـه فبولس يقـول بصريـح العبارة إن كـان الموتى لا يقـومون (فعـل مضارع) فلا يكون المسيح قد قام أي أنه في قيامة الموتى برهان لقيامة المسيـح ولا العكس .

ويجب أن تكـون مسلماً لأن الدين الإسـلامي إنما يـدعـو بعـد عبـادة الله وتوحيده إلى مكارم الأخلاق . . يدعو إلى المحبـة والمودة ، فلما كـانت الزوجيـة هي أولى لبنات المجتمع الـذي يتكون من مجمـوع الاسر فقـد حرص الإسـلام

على أن تشمل المحبة والرحمة أساس الأسرة وذلك بنص الآية الشريفة :

﴿ وَمِنْ آياتِه أن خَلَقَ لَكُم مِن أنفسِكُم أزواجاً لِتَسْكُنُوا إليها وَجعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً ورحمةً إنَّ في ذَلِكَ لآياتٍ لقومٍ يَتفكَّرُونَ ﴾ .

وبعد الزوجية وإنجاب الأولاد طالب الانسان بالإحسان إلى والديه وجعل ذالك قضاء واجباً بنص مثل الآية الشريفة :

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ ألَّا تَعبُدُوا إلَّا إيَّاهُ وَبالوالِدَيْنِ إحساناً إما يَبْلُغَنَّ عِندكَ الكِبَرَ أَحَدُهما أو كِلاهُما فلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ ولا تَنْهَرْهُما وَقُل لهما قولاً كريماً . واخْفِض لهما جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحمةِ وَقُل رَبِّ ارْحَمْهُما كما رَبَّيَاني صغيراً ﴾

وجعل التواصي بالرحمة من علامات الإسلام بنص الآية الكريمة :

﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذينَ آمَنُوا وَتَواصَوْا بالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بالْمَرْحَمَةِ ﴾ .

ودعا الإسلام إلى أسمى ما تدعو اليه الأخلاق الكريمة فطالب بعدم أكل الأموال بالباطل بنص الآية الشريفة :

﴿ يَا أَيُّها الذينَ آمنُوا لَا تأْكلُوا أَمْوَالَكُم بَينكُم بالبَاطِل ﴾ .

والإسلام أول دعوة لمحاربة الرشوة والسحت في مثل النص الشريف :

﴿ وَلَا تأْكلوا أموالَكم بينكم بالبَاطِلِ وَتُدلُوا بِها إلى الحُكَامِ لِتَأكلوا فَريقاً مِن أَمْوَالِ النَّاس بالإِثمِ وَأَنْتُمْ تعْلَمُونَ) .

ولا تبلغ أي دعوة إلى العدل قدر ما تبلغ دعوة الإسلام إذ يطالبنا بالعدل المطلق حتى ولو كان الحق للعدو ، وذلك في النص الشريف :

﴿ يَا أَيُّها الذينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لله شُهداءَ بالقِسْطِ وَلَا يَجرِمَنَّكُم شَنَئَانُ قَوْمٍ عَلَى ألَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ .

ولا يقتصر العدل الذي طالب به الإسلام على المعاملة إنما حتى في القول ولو كان ذلك ضد أي قريب للانسان بنص الآية الشريفة :

﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فاعدِلُوا وَلو كَـانَ ذَاقُرْبَىٰ وَبِعَهـدِ الله أَوفُوا ذَلِكُم وَصَّـاكُم بِهِ لَعلكُم تَذَكَّرونَ ﴾ .

وأوصى الإسلام بالأمانة وجعل ردها أمراً واجباً بنص الآية الكريمة :

﴿ إنَّ الله يأمُرُكُمْ أنْ تُؤَدُّوا الأماناتِ إلى أَهْلِهَا ﴾

﴿ فإنْ أَمِنَ بَعْضُكم بعضاً فليؤدِّ الذي اؤتُمِنَ أمانَتَهُ وَلْيَتَّقِ الله رَبَّه ﴾ .

وأمر بنبذ الخيانة نبذاً تاماً في مثل الآيات الكريمة :

﴿ وَلَا تكنْ لِلخَائِنين خَصِيماً ﴾ .

بل إذا استشعر الإنسان من قوم خيانة وأراد أن يدفعها فلا بد أن يشعـر عدوه بذلك حتى يكون على بينة من الأمر وذلك بنص الآية الكريمة :

﴿ وإمَّـا تَخَافَنَّ مِنْ قَـوْمٍ خِيانَـةً فانبـذ إليهم عَلَى سَواءٍ إنَّ الله لا يُحِبُّ الخائِنينَ ﴾ .

فهـل بلغ السمـو في الأخـلاق إلى مثـل هـذا الحـد في أي دعـوة ؟ والإسلام أول دعوة في العالم إطلاقا نادت بالمساواة والأخوة بين الناس بنص مثل الآية الشريفة :

﴿ يا أيُّها النَّـاسُ إنَّا خَلَقنـاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وأُنثى وجَعلنـاكُم شُعُوبـاً وقَبَائِـلَ لتعَارَفُوا إنَّ أكرمَكُم عِند الله أتقاكُم إنَّ الله عَليمٌ خَبِيرٌ ﴾ .

كما أنه أول دعـوة حررت المـرأة مما كـانت فيه من عبـودية وقـرر لها حقوقها وأول مرة في تاريخ البشريـة يعلن أن المرأة تشـارك الرجـل في بنيان الأمة وأن لها مثل الرجل في الأجر في مثل الآيات الشريفة :

﴿ مَن عَمِـلَ صَالحـاً من ذَكَرٍ أو أنثى وَهُـوَ مُؤمنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَـاةً طَيِّبـة ولنجزِيَنَّهم أجرَهُم بِأَحسَن ما كانوا يَعْملُون ﴾ ، ﴿ وَمَنْ يَعْمَل مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذكرٍ أو أنثى وَهُوَ مُؤمنٌ فأُولئِك يَدْخُلون الْجَنَّةَ ولا يُظْلَمُونَ نقيراً ﴾ .

﴿ ولهنَّ مثلُ الذي عليهنَّ بالمعرُوف ﴾ .

والإسلام أول دعوة إلى التعاون وأطلق التعاون في كـل شؤون الحياة طالما أنه تعاون في الخير بنص الآية الكريمة :

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى البرِّ والتَّقْوَى ولا تَعاوَنُوا عَلَى الإثم والعدوان ﴾ .

وأما دعوة الإسلام الى الصدق وإلى البـر والى التقوى والى الإحسـان وإلى مكارم الأخلاق فإنها تتردد في كل سور القرآن الكريم يقينا .

ويجب أن تكون مسلماً لأن الإسلام دين الوسطية فهو يدعـو إلى أوسط الأمور في كل شؤون الإنسان بل حتى في العبادة نهى الإسـلام عن الإسراف فيها بنص الآية الشريفة :

﴿ قُل يَا أهلَ الكِتابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُم غير الْحَقِّ ﴾ .

وفي الإنفـاق طالبنـا بالتـوسط بين التقتيـر والإسـراف بنص مثـل الآيـة الكريمة :

﴿ وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغلولةً إلى عُنُقِكَ ولا تَبسُطها كلَّ البَسْطِ فتقعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً ﴾ .

وهكذا في كافة أمور الحياة وبذلك كانت أمة الإسلام أمـة وسطا بنص الآية الكريمة :

﴿ وَكَذٰلِكَ جَعَلناكم أُمَّةً وَسَطاً ﴾ .

لم يفترض الإسلام أن النـاس ملائكـة فيطالبهم بـالانزواء عن الحيـاة الـدنيـا والبعـد عن طيبـاتهـا ولـم يعـاملهم على أنهم شيـاطين لا هم لهم إلا شهوات الدنيا . . إنما دعا إلى الدنيا دعوته إلى الدين واهتم بالجسم اهتمامه بـالروح وطـالب بالسعي والعمـل في الحياة لهـا ولما بعـدها . . لقـد طـالب بالأخذ بـأسباب الـدنيا . . على ألا ننسى في هـذا السعي الآخرة . . لـذلك نجد أن لفظ الدنيا قد تكرر مائـة وخمسة عشـرة مرة في القـرآن الكريم وهـو نفس العدد الذي تكرر به لفظ الآخرة بالـرغم من أنه ليست كـل الآيات التي وردت فيهـا الآخرة وردت فيهـا الدنيـا . فهل هـذا التسـاوي في العـدد على

سبيل المصادفة ؟ ألا يظهر هذا التساوي الهدف منه والذي تؤكده الآية الكريمة :

﴿ وابتَغِ فيمَا آتَاكَ الله الدَّارَ الآخِرةَ ولاَ تنْسَ نَصِيبَكَ من الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ الله إلَيْكَ ولا تَبْغِ الفَسَادَ في الأرض إنَّ الله لا يُحِبُّ المُفسِدِينَ ﴾ .

ويجب أن تكون مسلماً لأن الإسلام دين يمتاز بيسره وسماحته وبساطته . . فتكاليفه محببة وعباداته ميسرة ، فإذا حان موعد الصلاة مثلا استطعت أن تؤديها طالما أنت على وضوء أو توافر لديك الماء للوضوء أو إذا لم تجد ماء أو خشيت أن يؤذيك الماء تيممت . . وهكذا تصلي . . . في أي مكان كنت . . في مصنعك أو متجرك في مكتبك . . أو منزلك . . في المسجد أو الحديقة . . في الصحراء أو المدينة . . أو أي مكان طالما اطمأننت إلى طهارة صليت . . وإذا لم تستطع الصلاة قائما . . صليت قاعدا . . والمريض إذا لم يمكنه القيام أو القعود صلى على جنبه . . بل يصلي وهو في فراشه ولو بإيماءةٍ من رأسه . والزكاة تؤديها إذا ما وجبت بنسبة مئوية تختلف باختلاف الجهد الذي أنفقته فأنعم الله عليك به ربحاً . . وإذا اقبل شهر رمضان وأنت في صحتك صمته فإن كنت مريضاً فلم تستطع الصوم صمت أياماً مقابلة بعد الشفاء ، ومن خشي على نفسه من الصيام لمرض مزمن أو للسن الكبير فعليه الفداء . ولا بد أن تشترك في مؤتمر المسلمين بالحج طالما طريقه ميسر لك وإمكانياتهلديك . . مالية وصحية واجتماعية وهكذا . . لا تعسير وإنما تبسيط وتيسير . . . وأثبتت الدراسات الحديثة والأبحاث العلمية أن عبادات الإسلام إنما تهدف إلى خير الفرد وصالح المجتمع في دنياه كما تحقق له الثواب والرحمة والسعادة في أخراه .

وهكذا دخل الإسلام الملايين ويزداد عددهم في كل يوم وحين . . لقد دعا إلى الإسلام فرد واحد . . لا أب له ولا ولد . . وقامت ضده مجموعات قومه وكافة البلاد تحاربه . . فكيف انتصر فرد أعزل على العالم . . وانتشر هذا الدين في حياته وبعد وفاته وأصبح يدعى له في كافة

انحاء العالم ، ولم تعد هناك بقعة في الأرض إلا ويرتفع في قراها ومدنها نداء الإسلام . . . أليس ذلك تأييد الله سبحانه وتعالى له ؟ . . وهل يمكن أن يكون باطلا هذا الدين الذي انتشر هذا الانتشار في كافة البلاد والأقطار ؟ . . . أربعة عشر قرناً وهذا الدين موضع الدراسة والاختبار من الخصوم والأعداء . . . فهل ظهرت فيه ثغرة ؟ . . . أو لوحظت عليه هفوة ؟ . . . إن الدارسين والباحثين لا يلبثون إلا أن يستجيبوا لدعوته . . إذ تظهر الأيام دائما صدق رسالته . . . وإلا كيف يعتنقه الآن أكثر من خمسمائة مليون في كل بلاد العالم . . وما من دولة إلا وفيها مسلمون . . قد اعتنقوه بعد أن درسوه وآمنوا به بعد أن عقلوه .

ولهذا فنحن مسلمون . . .

ولهذا يجب على غيرنا أن يكونوا أيضا مسلمين .

ولتكون مسلماً عليك أن تشهد أنه لا إله إلا الله وحده وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن تقيم الصلاة المفروضة ، وتؤدي الزكاة المقررة عليك ، وتصوم شهر رمضان ، وتحج بيت الله الحرام إذا استطعت إلى ذلك سبيلا .

﴿ رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسلِمِينَ ﴾ .

[قرآن كريم]

كَيفَ تَشهدُ بالله ولماذا؟..

إن أول ركن من أركان الإسلام هو الإيمان بالله . . فالمسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، والإسلام حين يدعو إلى هذه الشهادة فإنما ليؤكد الوحدانية التي تنادي بأن الله واحد أحد . . فرد صمد . . . لا شريك له ولا ولد . . وليست هناك عقيدة أكمل من عقيدة الألوهية في الإسلام . ولا يوجد إيمان بالله يقارب إيمان المسلمين .

فالله سبحانه وتعالى هو رب العالمين . رب العالم العلوي والعالم السفلي . . رب العالم المنظور والعالم غير المنظور . . رب العالم الحي وغير الحي . . رب عالم السماء وعالم الأرض . . وقد قرر القرآن الكريم أن الله رب العالمين في ٤٣ آية مثل :

﴿ الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمين ﴾ .

وهو رب السموات والأرض وما بينهما كما تقول الآيات الشريفة مثل :

﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ والأرْضِ وَمَا بَيْنَهُما فَاعْبُده واصْطَبِرْ لِعِبادَته هَل تَعْلَمُ لَهُ سَمِياً ﴾ .

وكذلك رب العرش العظيم بنص الآيات الكريمة مثل :

﴿ اللهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ .

وهو وحده الخالق وما من شيء إلا وهو خالقه . ويعدد القرآن الكريم مظاهر خلقه سبحانه وتعالى في أكثر من ٢٤٠ آية حتى نصل إلى الحقيقة الأكيدة القاطعة التي تقررها الآية الشريفة :

﴿ قلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ .

ويسوق القرآن الكريم الأدلة والبراهين القاطعة على أن الله سبحانه وتعالى وحده هو الخالق في آيات كثيرة مثل :

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لا يَخلُقون شَيئاً وَهُمْ يُخلَقُونَ ﴾ ، ﴿ أم جَعَلُوا لله شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيهم ﴾ ، ﴿ يَا أيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ الله لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ والمَطْلُوبُ ﴾ ، ﴿ أَفَرَأيتم مَا تَحْرُثُونَ . أأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحنُ الزَّارِعُونَ ﴾ ، ﴿ أَفَرَيْتُمُ المَاءَ الَّذي تَشْرَبُون . أأَنتم أنزلْتُمُوهُ مِنَ المُزْنِ أم نَحْنُ المُنزِلُونَ ﴾ ، ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ التي تُورُونَ . أأنتم أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَها أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴾ .

وهكذا الله سبحانه هو الخالق . . ولذا فهو قبل كل خلق . . فهو الأول بلا بداية . . ولا بد أن يكون بعد كل شيء إذ إليه يصير كل أمر . . فهو الآخر بلا نهاية . . وكل ما حولنا من هواء وماء . . وطير ونبات . . وحيوان وإنسان . . ونجوم وسماء . . إن هي إلا مظاهر وجود الله . . وإذا ما تعمقنا في دراسة داخل ما نرى . . وجدنا الذرات التي تحكمها قوى عاقلة وتتصرف بمشيئة قاهرة . ونجد داخلها الإلكترونات والبروتونات وداخل الخلايا الكروموسومات كلها تعمل وفق خطة مقدرة ومقررة . . ففي كل ظاهر نجد أثار قدرة الله وفي كل باطن نجد آيات وجود الله . . ويقرر الإسلام هذه الحقيقة المؤكدة التي أصبحت لا تحتاج إلى جدال أو نقاش في مثل الآية الكريمة :

﴿ هُوَ الأَوَّلُ والآخِرُ والظَّاهِرُ والبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شيءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

وكل ما يقع تحت نظر الإنسان يشير إلى قدرة الله جل شأنه . . فالبذور الصلبة والحبوب الجافة تنفلق تحت الأرض ليخرج منها النبات فيندفع الجذر إلى أسفل . . ويرتفع الساق والأوراق إلى أعلى . . ولا دخل لأي إنسان في ذلك ، بل لا إرادة للنبات في أمره . . والنباتات كلها . . تسقى بماء واحد . . وتتغذى على غذاء واحد . . وتخرج بالرغم من ذلك على عدة أنواع وأشكال وألوان وطعوم وروائحة . . ولا يقتصر الإعجاز على ذلك . . ولا تقف القدرة عند هذا الحد . . بل نجد من الطين الأسود الكالح يخرج القطن الأبيض الناعم . . ومن الرائحة العفنة في الأرض السبخة تخرج الوردة العطرة . . ومن أملاح التربة الكريهة الطعم تخرج الفاكهة الحلوة . . وما أخطأت حبة مرة واحدة . . وما تغير إثمار شجرة فأخرجت ثمراً مختلفاً . بل ما ضل جذر مرة طريقه . . وما غير ساق مرة سبيله . .

ويأكل الحيوان طعامه . . فيتخمر الغذاء في معدته . . ويصبح شكله قبيحا . . ولونه كريها ، ورائحته تعافها أي نفس . . ثم نجد القدرة تخرج لنا من ذلك لبنا أبيض اللون سائغ الطعم مفيدا للجسم يطلبه كل إنسان . .

والخلية الواحدة التي تتكون عند تزاوج الذكر بالأنثى تنقسم إلى خليتين وكل واحدة إلى اثنتين ونجد أن هذه الخلايا المتشابهة المتكررة التي لا تختلف عن بعضها إطلاقاً بعضها قد تحور ليكون العظام وبعضها ليكون الغضاريف والبعض ليكون الشعر . وهكذا في كافة أجهزة الجسم . . هل يمكن لغير القدرة عمل ذلك ؟ . . إن العلم لم ولن يستطيع أن يفسر لنا كيف تتصرف هذه الخلايا . . لأن ذلك فوق إدراك العقل البشري .

وكل دراسة يقوم بها العلماء وكل تقدم يصل إليه الإنسان إنما يضيف أدلة جديدة على وجود الله ويشير إلى بعض قدرته . . فعندما اكتشف العلم الدورة الدموية وأمكن متابعة مسارها واستطاع الإنسان أن يحدد اتجاهها أوصله ذلك إلى ما لم يستطع معرفته أو تعليل سببه . . ألا وهو كيف يضرب

القلب ولماذا ؟ . ومتى كانت الضربة الأولى ؟ . . بعد أن ثبت أنه لا دخل للدم أو الأكل أو المخ أو الأعصاب أو الإرادة أو أي جهاز آخر في ذلك . . إن كل جانب من جانبي القلب يعمل في اتساق إذ تنقبض الغرفتان العلويتان معا ثم تنبسطان وبعد ذلك تنقبض الغرفتان السفليتان ثم تنبسطان وهذه الحركة دقة قلبية ومتوسط عدد ضربات القلب سبعين مرة في الدقيقة أي أنه يدق أكثر من مائةألف دقةفي اليوم الواحد. فكم تبلغ دقاته في الشهرثم في العام ثم طول العمر ؟ . . ولا يعرف لماذا تزداد إذا ارتفعت حرارة الجسم أو أصاب الإنسان ما يزعجه . . وتقل أثناء النوم والراحة . . ولا يعرف متى تبدأ الضربة الأولى للقلب في الجنين . . وكيف انقبضت غرفتان من القلب أولا ثم انبسطتا لتنقبض الغرفتان الأخريتان . . إلا أن العلماء قرروا أن هذا دليل على وجود الله وهذا أثر من قدرة الله . . .

والرئة بعد أن عرف الإنسان تركيبها لم يهتد إلى سر عملها . . إننا نتنفس ست عشرة مرة في الدقيقة دون أن نتدخل في ذلك ويزيد هذا العدد عند أي مجهود يبذل ويقل في وقت الراحة دون تدخل كذلك منا . . ولم يجد العلماء من سبب علمي أو منطقي أو ميكانيكي عضوي أو عصبي لهذه العملية العجيبة المعقدة إذ فيها تنقبض عضلات الحجاب الحاجز ويهبط هذا الحجاب إلى أسفل وتجذب العضلات الأضلاع إلى أعلى وإلى الخارج ويكبر القفص الصدري ويتسع لتتمدد الرئة ونتيجة زيادة حجم الفراغ بداخلها يندفع إليها الهواء من الخارج ثم يحدث العكس لطرد الهواء من داخلها الذي يخالف في تركيبه الهواء الداخل إليها خلافا جوهريا وكبيراً . . فقال العلماء . . قدرة الله . . وإرادتها . . وحكمته . . ودليل عظمته . .

وكل حركة يقوم بها الإنسان وكل أمر يأتيه إنما يتم نتيجة أمور لا تخطر بباله . . فإذا أراد الإنسان مثلا التقاط دبوس من الأرض فلا بد أن ينظر إلى مكان الدبوس فيحدد المخ هذا البعد تحديداً دقيقا بلا أدنى نسبة ولو ضئيلة من الخطأ وإلا ما وصلنا إلى مكانه إطلاقاً . ثم تصل صورة الدبوس مقلوبة إلى المخ فيعد لها ويعطي إشارته للعين ويحدد لها المكان بالضبط

ويتلقى من العين الإجابة ليعطي إشارات أخرى إلى الرأس بـأكملها وكـذلك إلى الرقبة والكتف والظهر والعجز والساق والقدم والذراع واليد والأصابع فإن كل هذه الأجزاء لا بد أن تشترك سويا في التقاط الـدبوس كـل في مجالهـا . ولا يمكن أن تتحرك هذه الأجزاء إلا إذا تحركت العظام وهذه لا تحـركها إلا العضـلات . . وحركـة العضلة لا بد لهـا من أمـر من المـخ الـذي يـأمـرهـا بالحركة ، ويقدر لها كمية الحـركة واتجـاهها ووزنهـا . . ولا بد أن تتنـاسب حركات كل هذه الأجزاء مع بعض وكذلك اتجاهها وإلا لو خالف العجز مثلا حـركة اليـد ، لما أمكن لـلاصابـع أن تقبض على الدبـوس . وفي كل هـذه الحـالات يرسـل المخ إلى الأعضـاء المختلفة عن طـريق شبكـة واسعـة من الأعصـاب أوامره وفي الـوقت نفسه يتلقى منهـا . . ولا يمكن لأي جهـاز أن يشتغل في الوقت الواحد بـأمرين متنـاقضين الاستقبال والإرسـال لا سيما إذا كـان كل منهمـا عن روية وتـرتيب وتنفيذ إلا المـخ . . وحتى نتبين قدر هـذه الحركات فإن العلماء ضربوا مثلا لذلك إذ أن الحجم الذي يتناسب مع المخ هو حجم أكبر عمارة أقيمت على وجه الأرض ويخرج من هذه العمـارة شبكة من الاسلاك تكفي لتغطية أرض مدينـة واسعة تغـطية شـاملة كاملة ولتحـريك عضلة واحــدة من عضـلات الجسم يلزم لــذلــك سلسلة من التفــاعــلات والإجـراءات تـزيــد على مـا يلزم لتحــطيم الـذرة أو إطـلاق صـاروخ إلى الفضـاء . . ويقول العلمـاء إنه لـو استخـدمنـا مياه الأنهـار جميعهـا لتلطيف الحرارة الناتجة من عمليات تحريك عضلة واحدة عن طريق جهـاز ميكانيكي لما امكنها ذلك . . . . وكل حركة تقـل عن التقاط الـدبوس . . حتى عنـدما تقلب هذه الصفحة التي تقـرؤ ها الآن . . يلزم لهـا مثل هـذه الإجراءات . . فكيف بالحركات الكبيرة التي تحتـاج إلى تقديـر وبحث ومحاولـة وسعي . . أليست هذه بعض قدرة الله ؟

وهكذا إذا نظرنا إلى أي شيء وتدبرنا أي أمـر . . لا نجد الصـدق إلا فيمـا يقرره الإسـلام . . والحق كل الحق مـا يقولـه القرآن الكـريم في مثـل الآيات الشريفة :

﴿ إنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ ﴾

﴿وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً﴾ .

وأثبتت الدراسات أن الوجود تحكمه قوة عاقلة مدبرة حكيمة وضعت النجوم والأفلاك والكواكب في مكانها وحددت مساراتها بحيث إن هذا العدد الذي لا يحصى بهذه الاحجام التي تفوق الوصف وبهذه الحركة السريعة والبالغة السرعة . . لا تتصادم ولا تتصارع ولا تسرع ولا تبطىء . . حتى تقوم الحياة بشكلها المقرر في كل وحدة من وحدات الوجود . . . ولا يشمل الاتساق والتنظيم وحدات الوجود الكبيرة من النجوم والكواكب بل إن الذرة ومكوناتها والخلية ومحتوياتها . . وكل ما خلقه الله ، جل شأنه ، نجد أن طابعه المميز . . الاتساق والانتظام . .

خلقت الأرض ومهدت . . ثم في أجيال عديدة تكون في باطنها الفحم والحديد . وارتفعت الجبال وفيها الصخور والمعادن . . وأعدت تربتها للزرع والإثمار . . ووجدت الطيور والأسماك . . ثم خلق الإنسان ليجد على الأرض كل ما هو في حاجة إليه . . لم تضج الأرض بمن عليها من البشر . . بل احتوتهم أرجاؤ ها ولم تبخل عليهم بخيراتها . . عاش عليها فردان . . آدم وحواء . فأكلا وشربا وأصبحا بعد ذلك عشرات ثم مئات وملايين . . وآلاف الملايين . . ويعيش عليها حالياً حوالي ثلاثة آلاف مليون نسمة . . جميعهم يأكلون ويشربون . . ويلبسون . . فيا ترى أي كميات تلك التي استهلكها البشر من يوم آدم حتى الآن من القمح والحبوب والبقول والخضر والفاكهة ؟ . . وكيف لم تنقص قدرة الأرض على الإنتاج بل هي في زيادة مستمرة لتتمشى وحاجات الإنسان ؟ . . هل تخيل الإنسان منا كم يبلغ قدر هذا المخزن العظيم الذي لا يأتيه من خارجه شيئاً إطلاقا . . والذي يمدنا بكل ما نحتاجه ؟ كم يا ترى فيه من الفحم أطنان والجاز والحديد والأملاح . . وكم استخرجنا منه . . ؟ . ويا ترى من أودع فيه هذا الرزق وقدره هكذا تقديراً متقنا ؟ . . يا ترى من يرسل الرياح والهواء ؟ . . ويسقط المطر من السماء ؟ . . ومن سخر البحر فدفع أمواجه . . وأودع فيه السمك وغيره رزقا لمن خلق من عباده ؟ . . صدق القرآن الكريم إذ يقول :

﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِياً وَتَسْتَخْرِجُوا مِنه حِلْيَةً تَلْبَسُونَها وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ .

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الأرضِ جَميعاً مِنهُ إنَّ فِي ذٰلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ .

وهذا التقدير والاتساق إنما يشير إلى علم الله جل شأنه وليست طبيعة علم الله سبحانه وتعالى من جنس ما نعهد عنه البشر ؛ فالعلم هو حالة من المعرفة وصل إليها الإنسان ولم يكن قبلها على علم بها ، أما جل شأنه فإنه يعلم بالأمر كله علم إحاطة وتقدير فلا يتم شيء إلا لأنه يعلمه وأراده . . ولا يقع من أمر إلا بعلمه بل إن هناك اموراً يعلمها وشاء فلم تقع فهو يعلم ما تم وما لم يتم . . ويقول في ذلك القرآن الكريم :

﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لَا يَعْلَمُها إلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ ما في الْبَرِّ والْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إلَّا يَعْلَمُها وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأرضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إلَّا فِي كِتَابٍ مُبينٍ ﴾ ، ﴿ قُلْ إنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعلَمْهُ الله وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰواتِ وَمَا فِي الأرضِ والله عَلَى كلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

وعلم الله المطلق يشمل كل ما حدث ويحدث في الوجود من أفعال فهو البصير الذي يرى كل فعل ولكن بلا تكييف . . وهو كذلك السميع الذي يسمع كل قول بلا تشبيه . . تعالى الله سبحانه وتعالى عن الشبه والمثل علواً كبيراً . . وفي ذلك تقول الآية الشريفة :

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِه شَيءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصير ﴾ .

ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى في كل مكان ، وفوق كل مكان . . أينما كان الإنسان أو غاب . . وأينما وجدت الحياة أو انعدمت . . إذ لا يمكن أن يكون له مكان وإلا كان المكان أكبر منه إذ يحتويه فالله أكبر . . الله أكبر وهو لذلك أقرب للإنسان من أي شيء وفي ذلك يقول القرآن الكريم :

﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إلَّا هُوَ سَادِسُهُم وَلَا أَدْنَى مِن ذٰلِك وَلَا أَكْثَرَ إلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾ .

﴿ وَهُوَ مَعَكُم أَيْنَ مَا كُنْتُم ﴾ .

والله سبحانه وتعالى هو الرزاق ، فهو وحده الذي يرزق الطيور في السماء ، والأسماك في الماء ، ويرزق الجنين في بطن أمه ويرعاه ، ويرزق الدواب على الأرض . . بل إن رزق هذا كله إنما يجري في يسر ورخاء . . وما أجهل الإنسان عندما يظن أن ما يرزق به إنما نتيجة السعي أو الجد أو الذكاء إذ لو تدبر وتأمل لوجد أن سعيه وجده وذكاءه إنما هي الوسائل التي يحصل بها على ما قدره الله له من رزق دون زيادة أونقصان ، فمهما اجتهد الإنسان أو سعى فليس له إلا ما قدره الله عليه بل وهذه الوسائل نفسها رزق من عند الله وكثيراً ما يأخذ الإنسان في أسباب الاجتهاد إلى أن يتأكد أن ما سيصيبه من كسب نتيجة عمله سيكون كثيراً وكثيراً جداً . . فتكون النتيجة عكس ما توقع . . وفي حالات أخرى يرى الإنسان في عمل يقوم به أو في صفقة يعقدها أنه لا مجال فيها إلا لرزق محدود أو ربح قليل محدود . ولكن تكون النتيجة عكسية وتنتج أرباحاً وفيرة وأرزاقاً كثيرة . . لا أسباب ولا مبررات إلا أنها إرادة الله الذي يعلم فقدر . . وصدق القرآن الكريم إذ يقول :

﴿ إنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبيراً بَصِيراً ﴾ .

وحقاً وصدقاً ما تقرره الآية الكريمة :

﴿ إنَّ الله هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ ﴾ .

والمتدبر لكل أمور الحياة والمتأمل لكل ما حوله يرى أن الله سبحانه وتعالى هو الحق . . وهو الحي . . وهو الذي أقام السماوات وبسط الأرض . . وهو الذي يحيي ويميت وهو عالم الغيب والشهادة والقرآن الكريم قد أورد صفات الله جل شأنه ومن تدبرها لوجدها حقائق قاطعة . والشواهد عليها قائمة . . وبعضها يرد في مثل الآيات الشريفة :

﴿ هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ . هُوَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلَامُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الْجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ، هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ المُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾ .

وهكذا حتى تكون مسلما يجب أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله والشهادة هي الإيمان الراسخ والاعتقاد الكامل الذي يجعل الإنسان يرى رؤ ية تامة صادقة أن لا إله إلا الله حقاً وصدقاً .

أما لماذا يجب أن تؤمن بالله الواحد الأحد فلأن ذلك هو الحق والأمر الصدق . . فوجب على كل إنسان ألا يشهد إلا بالحق ولا يعتنق غير الحق .

لقد اعترف الرسل كافة بأن الله واحد أحد وكل الكتب المقدسة قد أوردت هذه الحقيقة القاطعة بل حتى الكتب المتداولة حاليا قد أوردت هذا الأصل في الأديان بلا لبس أوغموض وإنما بكل جلاء ووضوح .

ففي كتب العهد القديم في الإصحاح الثالث من سفر التكوين نجد النص (وسمعا صوت الرب الإله ماشيا في الجنة عند هبوب ريح النهار . فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة . فنادى الربُّ الإله آدم وقال له أين أنت . فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت) وفي الإصحاح الأول من سفر أشعيا نرى النص (اسمعي أيتها السماوات واصغي أيتها الأرض لأن الرب يتكلم) . وفي كل الإصحاحات نجد التوحيد المطلق لله سبحانه وتعالى .

وفي كتب العهد الجديد نجد كذلك توحيد الله جل شأنه وذلك في مثل ما جاء في انجيل متى في الاصحاح التاسع عشر نجد النص (وإذا واحد تقدم وقال له أيها المعلم الصالح أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية ؟. فقال له لماذا تدعوني صالحاً . ليس أحد صالحا إلا واحد وهو

الله) وفي انجيل يوحنا نجد النص الآتي في الاصحاح الخامس (كيف تقدرون أن تؤمنوا وانتم تقبلون مجداً بعضكم من بعض . والمجد الذي من الإله الواحد لستم تطلبونه) وهكذا نجد التوحيد الكامل المطلق لله جل شأنه . . ولكن بعض رجال الأديان بما فسروا وأوَّلوا وحرفوا وغيروا افتروا على الله فمنهم من قال : عزير ابن الله ومنهم من قال إن المسيح ابن الله . . وغيرهم قالوا بوجود شركاء لله . . تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا . . إذ لا يمكن لأي عقل أن يقبل مما يقوله هؤلاء البعض عن وجود شركاء لله . . أو حلوله في جسد عبد من عباده خلقه أو أنه اتخذ له ولدا . . فمن يا ترى الذي جعل الآلهة اثنين ؟ ومن سبق منها ؟ وهل خلق أحدهما الآخر ؟ ثم هذا التوازن والدقة في السماء والأرض بل والتناسب الكامل الدقيق في كل شيء . . . فالمجموعة الشمسية وما فيها ، ومجموعة الكهارب في الذرة وما تحويها . . نجد التناسب بينها في السرعة والحجم والوزن . فلو كان للوجود أكثر من إله واحد لظهرت الآثار واضحة في اختلال الوزن أو اختلاف الأمر . وفي ذلك يقول القرآن الكريم ما يطابق العقل والمنطق في مثل الآيات الشريفة :

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلهةٌ إلاَّ الله لَفَسَدَتا فَسُبْحَانَ الله رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾

﴿ إذًا لَذَهَبَ كلُّ إلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ الله عَمَّا يَصِفُونَ ﴾

وكذلك أن يحل سبحانه وتعالى في جسد . . فهذا أمر لا يقبله العقل ، أي عقل إطلاقاً ، ولا يتفق مع أي منطق وينفيه العلم تماماً . فقد ثبت مثلا أن الإلكترونات داخل الذرة إنما تتحرك في حركة طوافة دائرية وأن البروتونات تتحرك كذلك داخل نواة الذرة . . ولما كان لكل حركة دائماً محركا . . وكلُّ حركة دائرية إنما تدور حول قوة توجد في المحور التي تدور حولها . . فهناك إذاً قوة داخل كل ذرة بل في نواة الذرة تلف حولها كل ما في الذرة . . وهذه الحركة ليست وقفاً على ما في الذرة بل كذلك نجدها في

الكواكب . . ثم في المجموعات النجمية . . إلى أن نصل إلى حركة طوافة كبرى تشمل الوجود كله . . إذن لا بد من قوة يتحرك هذا الوجود حولها . . وأيضاً لا بد من وجود قوة كذلك تحكم وتحدد مسار الحركة الطوافة وتمنع انطلاقها إلى الداخل أو الخارج . . فهذه القوة لا بداية لها لأنها توجد قبل أي شيء ، فأول كهارب في الذرة تلف حولها . . وكذلك لا نهاية لها لأنها توجد فوق الوجود وبعده . . هذا مظهر بسيط من مظاهر قدرة الله . . جل شأنه . . فهل مما يقبله العقل أو المنطق أو العلم أن تنسحب هذه القوة . . وهذه بعض مظاهرها لتوضع في جسد ؟ . . وهل يبقى الوجود بلا هذه القوة . . هل تتحرك الكهارب ؟ . . وهل تسير المجموعة الشمسية في مسارها ؟ . . وهل يمكن أن يجري على مثل هذه القوة الحصر . . فتحصر في جسد ؟ . .

وأما القول بأن الله جل شأنه قد اتخذ له ولداً . . فإن ذلك بهتان كبير وإثم عظيم . فكيف يتخذ الله له ولداً ولم تكن له صاحبة ولا يمكن أن تكون له . . إذ لا بد أن تكون الصاحبة على مثله . . وجل الله عن الشبه والمثل . . وقد ثبت عدم قيام الشرك بالله . . فهل اتخذ ولداً بلا صاحبة ؟ ويا ترى لماذا ؟ . . والسماوات والأرض وما فيها وما بينها قبضته وتقوم بأمره . . . وما خلق الله فجميعاً عباده . . . . وما عهدنا في الرسل والأنبياء إلا أن يكونوا عباد الله . . . فهل تظل سنة الله في الرسل والنبيين منذ آدم أي منذ آلاف السنين أو الملايين وفجأة يتغير الناموس وتتبدل السنة ، إنه أمر ينافي ما جرت عليه سنة الله سبحانه وتعالى . وفي ذلك يقول القرآن الكريم :

﴿ سُنَةَ الله فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبلُ وَلَن تَجِد لِسُنَّةِ الله تَبدِيلاً ﴾

﴿ فَهَل يَنْظُرُونَ إلاَّ سُنَّة الأَوَّلِين فَلَنْ تَجِدَ لسُنَّةِ الله تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لسُنَّةِ الله تَحْوِيلاً ﴾

ويفهم البعض مخطئين أن السيد المسيح حينما يقول عن نفسه ابن الله إنما قصد النبوة الحقيقية . . . ولكن ينفي ذلك ما نجده في الكتب المتداولة

من العهد القديم والجديد . . . فلقد ورد فيها لفظ ابن الله على غير السيد المسيح ، فيكون شأنه شأن من أطلق عليهم هذا اللفظ من الرسل . . . فنجد في سفر الخروج الإصحاح الرابع النص (وقال الرب لموسى عندما تذهب لترجع إلى مصر انظر جميع العجائب التي جعلتها في يدك واصنعها قدام فرعون . ولكني أشدد قلبه حتى لا يطلق الشعب . فتقول لفرعون هكذا يقول الرب . إسرائيل ابني البكر . فقلت لك أطلق ابني ليعبدني فأبيت أن تطلقه) . . . إذاً لقد أطلق على إسرائيل لفظ ابن الله . . . بل والبكر . .

وفي المزمور التاسع والثمانين نجد النص الآتي عن سيدنا داود (واجعل على البحر يده وعلى الأنهار يمينه . هو يدعوني أبي أنت آلهي وصخرة خلاصي) . . . أي أطلق على داود ابن الله .

وفي سفر صموئيل الثاني الإصحاح السابع نجد عن سيدنا سليمان النص :

(هو يبني بيتاً لاسمي وأنا أثبت كرسي مملكته إلى الأبد ، أنا أكون له أبا وهو يكون لي ابناً) أي اطلق على سليمان ابن الله . المقصود من لفظ ابن الله . . عبد الله الصالح وذلك على حسب ما تقرره كتب العهد القديم والجديد المتداولة ، فنجد في إنجيل متى النصوص الآتية :

(طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون) ، (صلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم . لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات) . فصانعي السلام والمصلين المتسامحين يطلق عليهم أبناء الله . . كما أطلق على الأشرار أنهم أبناء الأفاعي . بنص ما جاء في إنجيل متى (يا أولاد الأفاعي كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار) أو أبناء إبليس بنص ما جاء في إنجيل يوحنا (أنتم من أب هو إبليس) . . . ولذلك أوصى السيد المسيح بأن ينادي الجميع في صلاتهم أبانا وليس أباه هو بنص ما جاء في إنجيل لوقا (فقال لهم متى صليتم فقولوا أبانا الذي في السموات) .

ولا نستشهد بأكثر مما جاء إنجيل يوحنا الإصحاح الثامن ونصه (أنا

أتكلم بما رأيت عند أبي وأنتم تعملون ما رأيتم عند أبيكم . أجابوا وقالوا له أبونا هو إبراهيم . قال لهم يسوع لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله . هذا لم يعمله إبراهيم . انتم تعملون أعمال أبيكم . فقالوا له إننا لم نولد من زنا . لنا أب واحد هو الله . فقال لهم يسوع لو كان الله أباكم لكنتم تحبونني لأني خرجت من قبل الله وأتيت . لأني لم آت من نفسي بل ذاك أرسلني لماذا لا تفهمون كلامي . لأنكم لا تقدرون أن تسمعوا قولي أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا) وهكذا يعترف سيدنا المسيح بأنه إنسان . وأنه رسول الله وأن الصالحين لهم أن يقولوا عن أنفسهم أبناء الله . . وأما الأشرار فإنهم يعتبروا أبناء إبليس .

والأقوال الواردة في الأناجيل المتداولة التي تقرر أن السيد المسيح إنما هو رسول من الله كثيرة مثل ما جاء في إنجيل متى الاصحاح العاشر بالنص : (من يقبلكم يقبلني ومن يقبلني يقبل الذي أرسلني) .

وقد بدأت الدراسات الحديثة توضح هذا الرأي فنجد أرثر فندلاي يقول في كتابه (الكون المنشور) مانصه (لا يعتبر عيسى إلّهاً أو مخلصا إنما هو رسول من الله . خدم في حياته القصيرة في علاج المرضى وبشر بالحياة الأخرى وعلم بأن الحياة الدنيا ما هي إلا إعداد لحياة أخرى للملكوت الإلّهي ، لحياة أفضل لكل من يعمل صالحاً) ويقول القس الدكتور شالرز فرنسيس بوثر في كتابه (السنون المفقودة من عيسى تكشف) ما نصه (لدينا الآن وثائق كافية تدل على أن مخطوطات البحر الميت هي حقيقة هبة من الله إلى البشر لأن في كل ورقة تفتح تأتي اثباتات جديدة على أن عيسى كان كما قال عن نفسه ابن الإنسان أكثر من ابن الله كما ادعى اتباعه من بعده) .

وهكذا فالله واحد . . لا إلّه إلا هو والرسل والأنبياء إن هم إلا عباد الله أرسلهم لهداية البشر . . أرسل كل رسول إلى قومه وأرسل سيدنا محمداً ﷺ للناس جميعاً ونحن لا نفرق بين أحد من رسله وذلك بنص الآية الشريفة :

﴿ آمَنَ الرَّسولُ بِمَا أُنْزِلَ إليه مِن رَبِّهِ وَالمُؤْمِنونَ كلٌّ آمَنَ بِالله وَمَلاَئِكَتِهِ

وكتبه وَرُسُلِهِ لَا نُفرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِن رُسلِه وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفرانَك رَبَّنا وَإلَيْكَ المصيرُ ﴾ .

وهكذا فإن شهادة أن لا إلّه إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله . . إنما هي شهادة الحق . . والقول الحق . . ألا يكفي هذا ليشهد الإنسان بها ؟ . .

ولكن عندما اتسعت آفاق الدراسات والأبحاث أضافت إلى هذه الحقيقة حقائق أخرى تقرر أن الإيمان بالله سبحانه وتعالى إنما هدف به الإسلام إلى خير الفرد في مختلف قطاعاته والمجتمع بكافة طبقاته في كل أزمنته وأوقاته . .

فالمؤمن بالله في حصانة بإيمانه من أمراض كثيرة يقرر العلم الحديث أنها أمراض مدمرة للنفس محطمة للأعصاب مهلكة للجسم فقد ثبت أن القلق أخذ يزداد انتشاراً وحدة حتى أصبح يشكل خطراً جسيما يهدد إنسان العصر الحديث . فإن التقدم وما يتبعه من ضغط الإنسان على أعصابه والتنافس في سبيل الرزق وخوف الإنسان على وسائل معيشته والسرعة الجنونية التي أصبحت طابع هذا العصر . وكذلك ما تفرضه المدنية على الإنسان من عدم انطلاقه على سجيته ؛ كل هذا وغيره من الأسباب انما يثير في الإنسان القلق . والقلق ليس كما كان يظن حالة من الاضطراب النفسي والتبلبل الفكري تكون نتيجتها الإرهاق العصبي بل إنه يصيب صاحبه بأرق يلازمه ويجعله في أخف حالاته متقطع النوم وينتج عن ذلك الصداع والإرهاق الجسدي ثم ارتفاع ضغط الدم وزيادة ضربات القلب وتصبح هذه الحالة من ضمن أسباب قلق الإنسان على نفسه . وهكذا يدور الإنسان في دائرة مقفلة من القلق والمرض أي من العلة النفسية والعضوية فلا يستطيع الخروج منها .

والقلق ينتج عنه الخوف . . كما أن الخوف . . الخوف من أي شيء يصيب الإنسان بالقلق . . . وبديهي أن المؤمن بالله لا يخاف شيئاً فإن معه من بيده الأمر . . . كل أمر . .

وتدل الإحصاءات العلمية على أن أكثر من ثلاثة أرباع المرضى الذين يعانون أمراضا جسدية خطيرة كقرحة المعدة أو البول السكري أو تصلب الشرايين أو أمراض القلب وغيرها يرجع سببها إلى القلق والخوف ، ويقرر المختصون من العلماء والأطباء أنه لا سبيل إلى مكافحة هذه الأمراض . إلا بمحاربة القلق . . ولا يوجد غير طريق واحد لذلك هو عودة الإنسان إلى الإيمان بالله . إيماناً كاملاً مطلقاً . . يجعل الإنسان يطمئن على أن كل ما به إنما هو مقدر عليه ، وأن الله سبحانه وتعالى وهو أكبر من كل ما يتخيل وأعظم من كل من يلجأ إليه وقدرته أكبر من أي قدرة يطمئن إليها . . هو وحده الذي يستطيع أن يغير حاله . . ويصلح باله . . ويبدل عسره يسراً وخوفه آمنا . . وبذلك يعيش الإنسان في نعيم بهذا الأمل . . وما أجمل الحياة بالأمل . . وما أقساها إذا فقدنا الأمل . والإيمان الكامل المطلق الذي ينصح به الأطباء والعلماء هو ما يدعو إليه الإسلام بشهادة التوحيد . .

والمؤمن بالله لا يطغيه ما قد يناله من رزق وفير . . ولا يفزعه إذا قل رزقه في يوم عسير . . إذ يعلم أنه لا حيلة له في أمر رزقه وإنما هو تقدير الله الخبير العليم . . فإذا وسع على إنسان في رزقه فهي نعمته . وإذا قدر عليه الرزق فهي رحمته . . وهكذا المؤمن إذا أُعطيَ حمد وشكر . وإذا حرم صبر وشكر . . لا صراع في الرزق ولا تناحر أو تقاتل . وتقرر الأبحاث أن معظم حوادث الانتحار والجنون والتي تتزايد بدرجة خطيرة مرجعها الرزق . . أما من الخوف على انقطاع أسبابه أو زيادة تبعاته أو الانهيار الذي يسببه ضياعه . . وينصح الأطباء والعلماء دائما بوجوب ممارسة الإنسان للقناعة بما هو عنده ودفع سيطرة حب المال من نفسه ، وأن يعتقد المرء اعتقاداً جازما أنه وهو يؤدي واجبه إنما ينتظر الرزق المحدد له من ربه وبذلك يتجنب الإنسان الإرهاق الذهني أو الانهيار العصبي وما ينتج عن ذلك من انتحار أو جنون أو مرض . . . وهذه الدعوة قد سبق إليها الإسلام وهدف بالشهادة إليها .

وتتفق آراء الأطباء على أن أخطر ما يهدد سلامة الإنسان في عصره

الحالي وعصوره المقبلة غير القلق والانهيار ، الشعور بالوحدة . . هذا الإحساس الذي يتولد في نفس الإنسان لظروف خارجة عن إرادته إذ يتولاه في وقت معين وفي مكان محدد أو بنتيجة إحساس داخلي . . فنجده قد نفر من الناس وانزوى عن المجتمع وبدأ يتطور هذا الإحساس إلى شعور مدمر بوحدة قاتلة فتسبب له ضيقا في صدره ويأساً من عمله وفشلا في حياته . وبذلك يتهدد مستقبله وينتهي دوره الإيجابي في الحياة . وقد مثل بعض العلماء حالة من عنده هذا الشعور بإنسان قد سجن نفسه في غرفة حوائطها مرايا فأينما نظر لا يجد سوى نفسه . . وهذه الغرفة ليس بها أبواب أو نوافذ أو طاقات فلا سبيل إلى الهرب منها . . وقد اهتم العلماء بهذا المرض لا لأنه يجعل الإنسان بعيدا عن غيره عقليا وذهنيا وروحيا ووجودياً بل لأنه من أهم أسباب الاضطرابات العقلية والعاطفية . . وكانت اقتراحات العلاج الأولى لا تتعدى النصح بأن يعمل الإنسان بيديه في عمل يظل يشغل مخه ويديه وانتباهه كصنع السجاد أو النسيج أو الرسم أو الحفر على الخشب أو مثل ذلك ولم تكن النتائج مشجعة ، الأمر الذي حدا بالأطباء إلى اقتراح تزويد مخ الإنسان بذكريات كثيرة وأفكار سعيدة عن طريق القراءة المفيدة ، ولم تنجح هذه الطرق فقرر الأطباء أخيراً الرأي الناجح والعلاج الناجع وهو أن يغرس الإنسان في نفسه الشعور بأنه ليس وحيداً وأنه مهما كان فلن يكون في لحظة ما بمفرده . . بل يجب على الإنسان ، أي إنسان ، في أي عمر ، أن يشعر شعوراً قوياً صادقاً أن الله معه . . ونصح الأطباء والعلماء أن يتعلم الانسان منذ طفولته أنه إذا كان يسير على جانب من الطريق فإن الله يسير على الجانب الآخر . وأنه إذا كان يجلس على مقعد في غرفته فإن الله يجلس على المقعد المقابل . . وأن كل ما تفعله فإن الله شريك لك في عمله . . وهذا علاوة على أنه وقاية من مرض الشعور بالوحدة فهو علاج له . . فيا ترى هل يصل هذا العلاج إلى ما قرره الإسلام في كتابه الكريم من ان المؤمن بالله يحس ويعتقد ويؤمن بأن الله ، لا كما يقول الأطباء والعلماء يسير على الجانب الآخر من الطريق ، أو أنه على المقعد المقابل بل هو معه أينما كان بل أقرب إليه من أي شيء كان . . فهو أقرب إليه حتى

من حبل الوريد ، وذلك بنص مثل الآية الشريفة :

﴿ ولَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوسوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إليه مِنَ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ .

وهـذا من ضمن ما ينـاله المسلم من خيـر في دنيـاه بشهـادة التـوحيـد والإيمان بالله . .

والمؤمن بالله إيمانـاً كامـلا تامـا كما يـدعو إليـه الإسلام بـالشهادة لا يصيبـه ما يصيب غيـره إذا ما صـادفته في حيـاته أيـة صعـاب . . وكثيـراً مـا يصادف الإنسان ذلك بل ولا بد أن تصادفه المصاعب أو المشاكل . . فبعض الناس إذا ما فشلوا في حياتهم مرة كانت هذه هي نهاية دورهم في الحيـاة إذ لا يحاولون إعـادة الكرة وتكـرار المحاولـة بل يعتـريهم اليأس ويعـزون سبب فشلهم إلى سوء الحياة وشرور الأحياء . أما المؤمنون بالله حق الإيمان فإنهم إذا ما فشلوا فإنهم يحـاولون مـرة ومرات بـل عند فشلهم يصبـرون ويعتمدون على الله ، بـل ولهم فلسفة عميقـة صـادقـة هي أن الفشـل قـد يكـون سبب النجاح وأن ما أصابهم ما كان ليخطئهم وأن الخير فيما يـأمر بـه الله . فعسى أن ما يحسبونه شراً هو الخير وأن مـا يعتقدونـه خيرا هـو الشر . لـذلك بينمـا نجد بعض الناس غير قادرين على مواجهة الحياة نجد غيـرهم متمكنين منها وعلى استعداد تام لتقبل كل أحوالها والجهاد في أيامهـا . . وهذا هـو الفارق بين المؤمن بالله وغيره . . وتفيض كتب علم النفس بـالنصائـح التي يقدمهـا العلماء بضرورة ترويض النفس على تقبل الأمـر الواقـع والتسليم به والـرضاء بكل صروف الدهر . . وإيمان الإنسان بالله كفيل بذلك بل وأكثر .

والمؤمن بالله يعتقد حقا أن كل ما يصيبه إنما كتبه الله عليه فلا دخـل لغيره فيه . . فلا خصومة إذاً ولا عداء ولا بغض أو حسـد أو اعتداء . . إنمـا سماحة وصفاء . . ومحبة ووئـام . . إذ لا يتولـد في النفس العداء والكـراهية إلا إذا حسد الإنسان غيره أو حقد عليه أو اعتقد أنـه سبب ضره . . والمؤمن بـالله لا يحسد ولا يحقـد ومن ثم فالمجتمـع الـذي يضم المؤمنين بـالله هـو المجتمع المتحاب المتسامح الذي ترفرف عليه ألوية الأخوة والسلام . .

والمؤمن بالله كما يدعو اليه الإسلام بالشهادة يؤمن بأن الله يسمع ويرى . . فهذا الطالب مثلا يجتهد في مراجعة دروسه أمام أستاذه أو والده . . كيف يكون سلوكه في دراسته ومواظبته وهو يعلم بأن الله عليه رقيب ؟ . . وهذا الموظف مثلا في مكتبه يحاول دائما أن يؤدي واجبه على خير وجه أمام رئيسه . . كيف يا ترى يكون تصرفه عندما يؤمن بأن الله عليه حسيب ؟ . . وهذا العامل يا ترى على أي صورة يؤدي عمله في حضور رئيسه ؟ . . ألا يحاول الاجتهاد قدر استطاعته والإجادة بأقصى قدرته ، والإنجاز بأسرع طاقته ؟ . . فكيف يصبح عمله لو آمن بأن الله معه يراه ويسمعه ؟ وأنه سيحاسبه في الدنيا والآخرة . . وهؤلاء الذين يعتدون على غيرهم . بأي طريق من طرق الاعتداء . . ألا يحاولون التخفي والتستر ؟ . . فالقاتل والزاني والسارق والراشي والمرتشي وكل معتد . هل يحاول أن يرتكب جريمته أمام أحد . . ؟ فكيف به لو آمن بأنه دائماً بين يدي الله الواحد الأحد ؟

هذه بعض الجوانب القليلة واللمحات السريعة والأمثلة القصيرة لما يحققه الإيمان بالله من خير الفرد في نفسه وروحه وجسده وعمله وصالح المجتمع لكل طبقاته ، ومختلف قطاعاته . . فليس من سبيل إلى حصر ما هدف إليه الإسلام بالإيمان في الدنيا . . وأما جزاء الآخرة فالمغفرة والنجاة من العذاب والسعادة والنعيم في الجنة وذلك بنص مثل الآيات الكريمة :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تحتِهِم الأَنهَارُ في جَنَّاتِ النَّعِيمِ . دَعْواهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحيتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُم أَنِ الحَمْدُ لله ربِّ العَالَمِينَ ﴾ .

وستكون رحمة الله من نصيب الذين آمنوا، وينالهم فضله ويهديهم إليه صراطا مستقيما وذلك بالنص الشريف :

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بالله واعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيهِ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً ﴾ .

وهكـذ الإيمان فـوز في الدنيـا وسعادة في الآخـرة ، وهو القـول الحق وشهـادة الصدق . . وأمـا من لـم يؤمن فلن يضر سـوى نفسه ولـه في الـدنيـا عَذَابٍ الضمير وفي الآخرة نار السعير . . وصدق الله العظيم الذي يقـول في كتابه العزيز :

﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ الله وَآمِنُوا به يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِـرْكُمْ مِن عَذَابٍ أليم . وَمَنْ لاَ يُجِبْ دَاعِيَ الله فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ في الأرض وَلَيْسَ لَـه مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءُ أُولئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبينٍ ﴾ .

كيف تؤدى الصلاة ولماذا؟..

الصلاة أحد أركان الإسلام الخمسة التي أمر الله سبحانه وتعالى رسوله الأمين بأن يبلغ الأمر بإقامتها في مثل الآية الشريفة :

﴿ قُل لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾

والآية الكريمة :

﴿ وَأْمُر أَهْلَكَ بالصَّلاَةِ واصْطَبِر عَلَيْهَا لاَ نَسْأَلُك رِزْقاً نحنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾ .

وان تؤدى في أوقاتها المحددة بنص الآية :

﴿ إنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً ﴾ .

وليس أدل على اهتمام الإسلام بالصلاة من كثرة آيات القرآن الكريم التي تطالبنا بإقامة الصلاة فذكرت الصلاة فيه تسع وتسعون مرة .

ويستحب أن يبدأ المسلم الصلاة من سن السابعة فإذا وصل إلى سن العاشرة وجب على والده أو ولي أمره أن يأمره بالصلاة أمرا واجبا فإذا لم يستجب فعليه بضربه حتى يؤدي الصلاة المفروضة عليه وهي : -

صلاة الصبح ووقتها من طلوع الفجر إلى قبيل شروق الشمس ، وهي

ركعتان . صلاة الظهر أربع ركعات عندما ينتصف النهار بزوال الشمس عن وسط السماء حسب رأى العين .

صلاة العصر أربع ركعات مع انتهاء وقت الظهر وقبل أن تصفر الشمس .

صلاة المغرب ثلاث ركعات من وقت تمام غروب الشمس إلى العشاء .

صلاة العشاء أربع ركعات من دخول الليل بمغيب الشفق الأحمر الى منتصف الليل وللضرورة تمتد الى ما يسع ولو ركعة قبل دخول وقت الفجر .

صلاة الجمعة ركعتان بدلا من صلاة الظهر يوم الجمعة ويجب أن تؤدى في المسجد وفي جماعة ويلقي فيها الإمام قبل الصلاة خطبتان تتضمنان العظات الدينية بما يناسب وقتها والدعاء لعامة المسلمين .

والصلوات الخمس يجب أن يؤديها الإنسان في أوقاتها المفروضة ويحسن تأديتها جماعة في المسجد ، وفي حالة عدم الاستطاعة لأي ظرف فتؤدى في أي مكان وجد فيه الإنسان بشرط أن يكون هذا المكان طاهراً ونظيفاً . ويمكن للإنسان أن يصلي جماعة في منزله مع زوجته وأولاده على أن يكون الرجل إماما كما يمكنه أن يصلي مع أصحابه أو زملائه جماعة كذلك في أي مكان يتيسر طهارته ونظافته . وصلاة الجماعة تؤدى بأقل عدد فتصح باثنين على الأقل يكون أحدهما إماما والثاني مؤتماً .

وإذا لم يستطع الإنسان لظرف من الظروف أن يصلي الوقت في حينه كأن تأخر في نومه إلى ما بعد شروق الشمس أو يمنعه عمله من الانقطاع عنه في الصلاة الظهر إلى أن حل وقت العصر أو حل عليه وقت ولم يصل الفرض السابق فعليه أن يصلي ما فاته قضاء إذ يجب على كل إنسان أن يصلي فروضه كاملة فسيحاسب على كل منها .

أما كيف تصلي فيجب أولا أن تطمئن إلى طهارة ثوبك ثم تتوضأ فلا

صلاة بلا وضوء فقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالوضوء عند الصلاة بنص القرآن الكريم في الآية الشريفة :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إلى الصلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكم وأَيدِيكُم إلى المَرَافِقِ وامسَحُوا بِرُءوسِكُمْ وأَرجُلكُمْ إلى الكَعبينِ وإن كُنتم جُنباً فَاطَّهَّرُوا ﴾ .

وطهارة الجنابة تتم بالاغتسال مع النية إذ ينوي الانسان التطهر من الجنابة ويستحم .

والوضوء يكون بالماء الطاهر النظيف الذي ليس له لون ولا رائحة بالترتيب الآتي : -

غسل اليدين إلى الرسغين ثم مضمضة الفم ثلاث مرات واستنشاق الماء ثلاث مرات من الأنف ثم غسل الوجه بأكمله ثلاث مرات ثم غسل اليد اليمنى الى المرفق ثلاث مرات ثم اليد اليسرى كذلك ثم مسح الرأس وكذلك مسح الأذنين من الخارج والداخل ثم غسل الرجل اليمنى إلى الكعب ثلاث مرات وكذلك الرجل اليسرى .

ثم تطمئن على طهارة المكان وأن ثوبك يستر عورتك وأن وقت الصلاة قد حان فتقف وتتوجه الى القبلة وهي الكعبة الشريفة بيت الله الحرام ثم تبدأ الصلاة بإعلان النية والتكبير فتقول نويت صلاة (وتحدد الصلاة : الصبح أو الظهر أو العصر أو المغرب أو العشاء) الله أكبر . ثم تقرأ الفاتحة وسورة قصيرة أو آيات من القرآن الكريم وأقلها آية واحدة وبعد انتهاء القراءة تقول الله أكبر وتركع بأن تجعل رأسك وظهرك بشكل مع باقي جسمك زاوية قائمة وتقول سبحان ربي العظيم ثلاث مرات ثم تنهض من ركوعك واقفا كما كنت وتقول سمع الله لمن حمده ثم تقول الله أكبر وتسجد وتقول في سجودك سبحان ربي الأعلى ثلاث مرات ثم تقول الله أكبر وتعتدل جالسا ثم تقول الله أكبر وتسجد ثانيا وتقول سبحان ربي الأعلى ثلاث مرات ثم تقول الله أكبر وتقف لتبدأ الركعة الثانية فتكرر ما فعلته في الركعة الأولى تماما وبعد أن

تسجد السجدة الثانية تعتدل جالسا بدلا من قيامك وتقرأ التشهد وأنت جالس وبعد انتهائه تختم الصلاة بقولك (السلام عليكم ورحمة الله) ملتفتا إلى جهة اليمين ثم كذلك تكرر السلام ملتفتا إلى جهة اليسار . وبذلك تنتهي الصلاة المقرر لها ركعتان وهي صلاة الصبح ، أما الصلاة المقرر لها ثلاث ركعات وهي المغرب فبعد أن تصل في التشهد إلى (اللهم صلِّ على محمد) تقوم دون أن تتم التشهد وتصلّي ركعة واحدة تقرأ فيها الفاتحة فقط وتكبر وتسبح وتركع وتسجد كأي ركعة ثم تجلس للتشهد فتختمه في الركعة الثالثة ، أما في الصلاة المقرر لها أربع ركعات كالظهر والعصر والعشاء فتقوم كما قمنا لصلاة المغرب بعد الركعة الثانية وتصلي ركعتين بدلا من ركعة واحدة للمغرب كالركعتين الأولتين ولا تقرأ مع الفاتحة سورة أو آية ثم انتهاء الركعة الرابعة تقرأ التشهد بأكمله وتختم الصلاة بالسلام .

وأما نص التشهد فهو (التحيات لله والصلوات والطيبات لله . السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته . السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . أشهد أن لا إلّه إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد ﴾ .

وإذا صليت في جماعة وكانت الجماعة اثنان فقط وقف الإمام والآخر على يمينه فإذا كانت الجماعة ثلاثة وقف الإمام والمصليان الأخران خلفه أما إذا زادت الجماعة على ذلك فيقف المصلون في صفوف خلف الإمام .

ومن يسر الإسلام وسماحته أنه أجاز للمريض الذي لا يستطيع الصلاة واقفاً ان يصلي وهو قاعد فإن لم يستطع فعلى جنبه وإذا لم يستطع الكلام أو كان الكلام يتعبه جاز له أن يصلي بالإيماء وكذلك بالنسبة للوضوء إذا لم يجد الإنسان الماء ليتوضأ أو كان يخشى أن يصيبه الضرر إذا توضأ بالماء فقد أجاز الإسلام له أن يتيمم وذلك بأن يضرب كفيه على الأرض أو ما اتصل بها ضربتين ضربة يمسح بها وجهه وضربة يمسح بها يديه . وينتقض الوضوء

بخروج شيء من السبيلين أو مس الذكر أو النوم . وعلى كل فيحسن الوضوء لكل صلاة استجابة للنظافة التي يدعو إليها الإسلام لا سيما إذا توفر الماء وتيسر سبيله .

ولا يشترط أية اشتراطات أخرى في الصلاة كلبس رداء معين إلا رداء يستر ما أوجب الله ستره ، أو الوقوف بطريقة معينة ، كما لا يجب ارتداء شيء على الرأس ولكن يشترط أن تقف متجها إلى القبلة قد حضر في نفسك روعة الموقف واستشعر قلبك ما أنت مقبل عليه . . فكل ما يبعثك على الخشوع والخضوع لله يجب أن تفكر فيه فقد كان السلف الصالح يتغير لون بشرتهم إذا استعدوا للوضوء لأنهم يعلمون أنهم في طريقهم إلى الوقوف بين يدي الله . فإذا ما وقفت بين يديه وأقمت للصلاة يجب أن تنزع من نفسك كل مشاغلها ولا ينحصر تفكيرك إلا فيما أنت تتلوه . . فعندما تقول الحمد لله . . فلتقلها وأنت تقصدها وتعنيها لا على أنك تحفظها وتتلوها . . وعندما تقول مثلا إياك نعبد وإياك نستعين يجب أن تحسن في قرارة نفسك أنك تؤمن إيمانا كاملا مطلقا أنه لا معبود غير الله ولا ملجأ إطلاقا إلا إلى الله . وإذا ركعت أو سجدت . . فأنت تركع أو تسجد لله . . الذي يراك ويسمعك . . ولذلك يوصينا سيدنا رسول الله بأن نعبد الله كأننا نراه . . فإن لم نكن نراه فهو يرانا . . . فكل حركة وكل كلمة في الصلاة يجب أن نفهم معناها ونؤديها محققة لها . . فليست الصلاة تمرينات رياضية . . أو حركات رمزية . . بل هي صلة بين العبد وربه يجدد فيها العهد . . ويطلب من الله العون .

ويجب أن تؤدى الصلاة في أمن وطمأنينة ، فلا إسراع يخل بمعناها ، ولا إبطاء يشغل الإنسان عن أمور الحياة بل توسط ووسط ، لذلك حدد وقت الركوع والسجود بثلاث تسبيحات حتى لا يطيل الانسان السجود طويلا أو يسرع فيه كثيراً إلا إذا كان يصلي تطوعا أو تهجداً فله أن يطيل في صلاته كما يحلو له ؛ ولكنك إذا صليت إماما يجب أن تراعي ظروف من معك من مرضى أو من تركوا أعمالا فلا تطل الصلاة ، وحينئذ يجب أداؤها كاملة بأركانها بلا إسراف .

أما لماذا نصلي . . . فكل يوم يضاف إلى أهداف الصلاة أمور جديدة بعد أن اتسعت آفاق الفكر وتعددت الدراسات إذ لا يقتصر فضل الصلاة على الإنسان في آخرته إذ وعد الله سبحانه وتعالى المصلين بالجنة في الآخرة بنص مثل الآية الشريفة :

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُون ﴾ .

وتوعد الغافلين عنها بالعذاب الأليم بنص مثل الآية الكريمة :

﴿ فَوَيْلٌ للمصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاَتِهِمْ سَاهُون ﴾ ، ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَر قَالوا لَم نَكُ مِنَ الْمُصلِّين ﴾ .

بل إن الصلاة يعم فضلها الإنسان والمجتمع في الحياة الدنيا وهي سبيل فلاح الإنسان في الدنيا بنص الآية الشريفة :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِم خَاشِعُونَ ﴾ .

فالوضوء قرر الطب الحديث أنه وقاية وعلاج للإنسان من أمراض كثيرة ، إذ أن غسل اليدين والفم والأنف والوجه والأذنين والرأس والرجلين خمس مرات في اليوم يقي الإنسان من أي عدوى . فالعدوى تتم في الغالب عن طريق جلد الإنسان في الأعضاء المكشوفة وهي اليدان والوجه والقدمان أو عن طريق الفتحات كفتحة الفم والأنف والأذن . . . والوضوء يغسل كل هذه الأعضاء والفتحات غسلا جيداً تاماً فينظفها من ميكروبات العدوى كما يزيل ما يكون قد وصل إليها من تراب وأوساخ ، وهذه كذلك تصيب الجسم بالأمراض . وتعترف الجهات الطبية في أمريكا أنه قد اتضح من الإحصاءات العلمية أن مرض الفطر الذي يصاب به كثير من رجال الغرب بين أصابع أقدامهم لا يصاب به أهل الشرق . . . وكذلك بعض حالات أمراض الجلد التي تصاب بها نساء الغرب خلف الأذن لا تصاب بها نساء الشرق . . وليس هناك من سبب إطلاقاً إلا أن الوضوء وفيه تغسل هذه الأعضاء خمس مرات يوميا بصفة دائمة هو الوقاية من هذه الامراض .

وثبت أن الوضوء يجدد نشاط الإنسان ويمنع عنه الكسل والخمول إذ

يجعله بعـده أكثر نشـاطاً ويقبـل على عمله بهمـة ومقدرة كـما أن الوضـوء ينبـه أعصاب الجلد وهذا التنبيـه ينتقل إلى جميـع أعصاب الجسم والغـدد كذلـك ، فتنشط الأجهـزة الـداخليـة في الجسم وتفـرز الإفـرازات التي يحتـاجهـا الجسم لينشط . . . وهكذا الوضـوء نشاط داخـلي في أجهزة الإنسـان ونشاط في حـالة الإنسان العملية وقدراته الإنتاجية . .

وتقضي أصول الوقاية الصحية على الإنسان أن يسرع بغسل يديه خوفـاً من العدوى إذا زار مريضاً أو صافـح من يشك في مـرضه كـما تنادي بضـرورة غسل الإنسان ليديه قبل الأكل خوفاً مما يعلق بها من ميكروبات . . أفلا يسبق الوضوء الصحة الوقائية ويفوقها بغسل اليدين والوجه والفتحات الظاهـرة خمس مـرات كـل يـوم . . . وفي أثنـاء انتشـار الأمـراض التي تصيب الحلق خـاصـة التهابات الزور والأنفلونزا والحمى الشوكية ينصـح الطب الـوقائي الإنسـان أن يتغـرغر بـالماء ويستنشق كـذلك عـدة مرات في اليـوم وقـايـة من العـدوى . . والوضوء يحقق للإنسان هذه الوقاية بصفة دائمة ، هذه بعض أهداف الـوضوء من الناحية الطبية ، والتي أمكن للعلم أن يقـررها ، ومـا زال يضاف إليهـا في كل يوم جديد . . وأما تأثير الوضوء على النفس فهـو أمر لا شـك فيه ، إذ أنـه يسبب للنفس الثائرة سبل الهدوء ويمنح الإنسان الطمأنينة والسكينة . . . ويقرر الطب أن الوضوء علاج أكيد سريع لكسر حدة غضب الإنسان وثورته .

وأما الصلاة فهل يا ترى لو أقـام الناس أجمعـين الصلاة دائمـة ليل نهار فهل ترى يزيد ذلك من ملك الله شيئاً أو يضيف إلى عـظمته وجـلاله سبحـانه وتعـالى شيئاً ؟ . . فـإذا كانت الصـلاة وهي عبـادة من الإنسـان لـربـه . . لا يستفيد منها قطعاً الله سبحـانه وتعـالى ألا يؤكد المنـطق أن الطرف الآخـر وهو الإنسان لا بد مستفيد . . .

وضعت الصـلاة موضـع الدراسـة العلمية ودرست حـركاتهـا . . دراسة وافيـة . . وذلك عن طـريق علماء الطب الاجتمـاعي والعلاجي وعلماء النفس والاجتماع والتربية فكان ما وصل إليه كل هؤلاء يضع الصلاة من أهم وسائل المحافظة على صحة الفرد البدنية والعقلية والنفسية وتربيته تربيـة سليمة مثـالية

وهي كذلك وسيلة خلق المجتمع المثالي . .

فالفاتحة التي تتكرر في كل ركعة من ركعات الصلاة إذا تدبرنا معانيها وتفهمنا ما تدل عليه وما تهدف إليه لوجدنا في ذلك خيراً لكل من آمن بها وعمل بها واهتدى بهديها فهي تقول :

﴿ الحَمْدُ لله ﴾ .

أي الشكر والحمد لله وحده ؛ فهل للإنسان أن يشكر أو يحمد إلا الله ؟ فإن كل نعمة فالله صاحبها وهو الذي منحها لعباده ، وفي هذا اعتراف وإقرار بأن كل خير أصبناه فإنما الله وحده هو الذي منحه لنا ، والله هو :

﴿ ربِّ الْعَالَمِين ﴾ .

فهو سبحانه الذي خلق كل العوالم التي نراها والتي لا نراها . . العوالم التي فوقنا أينما كانت في الهواء والسماء والنجوم والأفلاك . . والعوالم التي تحتنا في الارض وتحت الماء والبحار . . وهو ربهما أي الذي يتولاهما في كل أمورهما والله سبحانه وتعالى هو :

﴿ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم ﴾ .

فهل هناك رحمن غير الله . . الذي رزقنا الحياة نفسها ؟ ومن شواهد رحمته النظر الذي نرى به والسمع الذي نسمع به واليد التي نعمل بها ونأكل بها ونجد ونجتهد ونكتسب عن طريقها والقدم التي نسعى عليها . ومن أدلة سعة رحمته الواسعة أنه يمنح الإنسان فوق ذلك الدقائق وكل ما يجعل هذه النعم مصانة في أمان . وتعمل في دقة وإتقان . فالعين خلق لها الأهداب والأجفان ، والأذن جعل لها ما تفرز كل ما ييسر لها العمل . . وهذه اليد لها أصابع بأطوال معينة وأظافر محددة لنستطيع أن نمسك ونلتقط ونستخدمها في كل ما يجعل الحياة أمراً ميسوراً . . والقدم ، وكافة الأجهزة الدقيقة ذات الأبعاد والصفات العجيبة . . هل فكر الإنسان منا لو كانت اليد بلا أصابع . . أو الإنسان بقدم واحدة . . أو العين ليست في مكانها هذا . . هل لو كانت في القدم مثلا . . هل كانت تؤدي وظيفتها ؟ . . وهل كنا نحافظ

عليها ؟ . . وهل لو كانت واحدة في الأمام وأخرى في الخلف . . هل يا ترى يكون ذلك أفضل إذ يرى الإنسان ما أمامه . . وما خلفه ؟ . . يقرر البحاث أن ذلك كان يسبب خلطا عجيباً في المخ لا يستطيع الإنسان معه أن يحسن التصرف بل لا يمكنه أن يتصرف إطلاقاً . . وهل هناك رحمة أوسع من أنه يرزق عباده على اختلاف ميولهم ومشاعرهم . فهو يرزق الكفرة والملحدين . . ويرعاهم ويحفظ عليهم حياتهم . . فهؤلاء الملحدون مثلا الذين ينادون من فوق المنابر ويقولون أين الله ؟ إذا كان موجوداً . . فليعمل . . كذا . . أو . . أو . . . هؤلاء . . في ضلال بعيد . وفي تيه شديد . . فمع الفارق الشديد . . إذا قال أب لابنه : إذا رسبت ، سأضربك حتى تموت . . فيرسب الولد هل يضربه والده إلى أن يموت ؟. بل كثيراً ما يداعب الابن أباه فيقول له : ها أنا ذا . . فاقتلني إن ذرة غبار تدخل في القصبة الهوائية كافية لقتل الإنسان في أقل من لحظة ، ولا دخل للإنسان في عمل القصبة الهوائية وبجوارها فتحة الغذاء . . فيأكل الإنسان أو يشرب فلا يذهب الأكل أو الشراب إلى فتحة الهواء إنما يمر إلى فتحة الغذاء ، فيا ترى من يقف عند هذه الفتحة فيمنع الخطأ ؟.

والملحد والمشرك والكافر يرعاهم الله . . ويحفظهم . فهل هناك رحمة أكبر وأوسع من ذلك ؟ أليس الله بذلك هو الرحمن ؟ . . والذي لا تنتهي رحمته . . فإنها رحمة مستمرة ليس لها بداية وليس لها نهاية . . ولا بد سيصيب الإنسان في آخرته أضعافها . . إذ مهما عبد الإنسان وتاب وأناب فلن يستطيع بذلك مهما طال الأمد أن يشكر ولو أقل القليل لما وهبه الله له ، لذلك فإن ما سينالنا في الآخرة من الرحمة والآخرة دائمة ومستمرة لا نهاية لها لما يؤكد أن الله سبحانه تعالى هو الرحيم . .

ويا ترى هل يكون يوم القيامة الأمر إلا لله ؟ . . أليس الله هو اذاً .

﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّين ﴾ ؟

وبعد أن عرف الإنسان ذلك عن مولاه سبحانه وتعالى ألا يجب علينا

عبادته ؟ . . والتلذذ من هذه العبادة ؟ والاعتراف بأنـه لا معبود غيـره ولا رب سواه ؟ . . وحتى تكون العبادة كاملة ومقبولة . . من غير الله نستعين بـه ؟ . . لذلك يجب أن نقول :

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِين ﴾ .

وفي هذه اللحظات التي وصل الإنسان فيهـا إلى قمة إيمـانه بـربه والتيقن من رحمته والاعتراف بربوبيته يدعـوه وهو السميـع المجيب إلى خير مـا يجب أن يدعو به الإنسان .

﴿ آهْدِنَا الصراطَ المُستَقيم ﴾ .

وهو الطريق القويم في كل أمور الدنيـا والآخرة ومـا يوصـل الإنسان إلى خير الدارين . . الفانية والباقية . . هذا الصراط هـو الذي وهبـه الله سبحانـه وتعـالى لمن أنعم عليهم بـرحمتـه وفضله ونعمـه وهؤلاء غــير مغضـوب عليهم وليسوا من الضالين لذلك فإنا نقول :

﴿ صِراطَ الَّذِينَ أَنْعمتَ عَليهِمْ غَيْرِ المغضُوبِ عَلَيْهِمْ ولا الضَّالِّينَ ﴾ .

يقـرأ المسلم الفـاتحـة في كـل ركعـة من ركعـات الصـــلاة ، أي يتلوهـا ويتدبرها سبعة عشر مرة كل يوم فهل بعد ذلك يؤمن المسلم بأن هناك خير من عند غير الله ؟ . . وهل يشرك في عبادة الله أحداً ؟ ـ وهل يلجأ إلى غير الله ؟ . إن المسلم يبدأ يومه بحمد الله وشكره . . ويدعوه ويستعين بـه . . فهل هنـاك بـداية أسعـد وأجمل من هـذه البدايـة ؟ . . ان الإنسان ليبحث عن وردة جميلة تمتع نظره في الصباح . . أو تغريدة حلوة تصافح أذنه . . في بداية اليوم . . أو خبـر سعيد يحمله لـه صديق . . وليس أجمـل من ذكـر الله . . . ولا أحـلى من السجود لله . . ولا أسعد ممن يقف بين يدي الله . . وبعد أن يتذكر في صلاتـه الأولى نعم الله يـطلب منه التـوفيق في يومـه ، ثم يبـدأ عمله في زراعتـه أو في مصنعه أو متجره أو مكتبه أو مدرسته . . فهل إذا أصابه خير في يوم شكـر غير الله ؟ . . أو اعتقد أنه من عند غير الله ؟ وإذا أصابه الشر هل يجزع وهو يؤمن بأن الله معه . . يرعاه ؟ وينتصف النهار وقد أجهـد الإنسان مـا بذلـه في عمله

من جهـد ودب التعب إليه فنجـد أن الإسـلام ينـادي عـلى المسلم أن يتـوضـأ ليجدد نشاطه ويقف بين يدي الله ليشكره ويطلب المزيد من رعايتـه إن وفق في الفترة الأولى من عمله . . أو يسأله أن يعوضه ما قد يكون فاته . . لذلك نجد أن نفس الإنسـان قد أطمـأنت وهدأت واستشعرت السكينة والأمـان . . ثم في العصر أي بعد فترة ثانيـة من العمل لا بـد للإنسـان بعدهـا بأن يجـدد نشاطـه جسمياً وانتعاشه روحياً . . فيكون بذلك وهو في قمة جهده العملي على اتصال بمنبع العون والقوة . . بالله سبحانه وتعالى .

وأما في الغروب فالانسان يستعـد لراحتـه . . وقد انتهى جهـاد يومـه فما أحـوجه أن يستعـرض عمـل يـومـه إمـا بـالشكـر والحمـد . . وإمـا بـالشكـر والاستغفار . . وإذا دخل الليل واستعد الإنسـان أن يسلم نفسه لله فسيغمض عينيه وترحل روحه إلى حيث شاء الله . وقد تعـود . . وقد لا تعـود . . ولا بد أن الإنسـان قد أخـطأ في يـومـه في حق نفسـه . . أو حق غيـره . . فـلا يعلم الإنسان إذا كان هذا هو آخر عهده بالدنيا أم ما زال له نصيب فلا بـد إذن من أن يلجأ الإنسان إلى الله يستهديه ويستغفره ويدعوه ويجدد عهـده معه ويـطلب منه أن يهديه الى الصراط المستقيم فإن كان له في العمر بقية فسيبدأ يومه بالحمد والشكر والوقوف بين يديه وإن كـان الأجل قـد انتهى فقد بـدأ الآخرة حـامداً شاكراً مستغفراً .

والصـلاة تفيد الجسم فـوائد عـديدة بـل إنها أفضـل مـا عـرف في هـذا الشأن ، فأوقات أدائها هي أنسب الأوقات لأداء بعض الحركات الجسديـة التي تحفظ عـلى الإنسان صحتـه . فقبـل الشـروق حيث الجـو النقي المفيـد وحيث الجسم ما زال في كسل النوم نجده في حاجة ماسة إلى حركة تبعث فيـه النشاط وتجعل الجسم لا يفاجأ من كسل تـام كان فيـه .بالنـوم إلى العمل المجهـد الذي يقوم به أثنـاء يومـه . وكذلـك في الظهيـرة حيث يكون قـد حل بـالجسم تعب العمـل وفي العصر حيث ينتهي العمـل يكون الجسم كـذلك قـد نـالـه التعب والكد وفي الغروب حيث يبدأ الإنسان مرحلة الراحة وكذلـك في العشاء حيث يستعد للنوم هذه الأوقات هي أنسب المـواقيت التي يجب على الإنسـان فيها أن

يؤدي بعض الحركات الرياضية الجسدية لتعويض جسمه ما فقده أثناء العمل وإزالة ما به من آثار الإرهاق وتجديد دورته الدموية . وخبراء الرياضة يقررون للإنسان وجوب أدائه لبعض الحركات السويدية لمدة خمس دقائق أو عشر كل يوم عدة مرات، الأولى قبل شروق الشمس للاستفادة بالجو النقي وتنشيط الجسم بعد النوم ومرة ثانية إذا شعر الإنسان بأي أثر للتعب أو بعد ست ساعات على الأكثر ، ثم مرّة أخرى إذا استمر في عمله وفي الغروب تفيد الرياضة الإنسان كثيراً ، أما قبل النوم فإن الطب والرياضة والتجربة تقرر بأنه لا بد للإنسان بعد أن يتناول عشاءه وقبل نومه أن يقوم ببعض الرياضة للمساعدة على الهضم وتهيئة الجسم لنوم عميق يكتسب به الإنسان فائدة النوم .

وحركات الصلاة هي خير حركات يمكن بها تنشيط الحركة الدموية ، وكذلك كافة أجهزة وأعضاء الجسم على الإطلاق فالركوع والقيام منه يقوي عضلات الظهر والمعدة ، كما يقوي السجود والاعتدال عضلات الفخذين والساقين ، وكذلك تحرك الصلاة عضلات اليدين والرقبة وكافة عضلات الجسم كلها .

وتمتاز الصلاة في ناحيتها الطبية على غيرها من حركات الرياضة بأنها تعمل قطعاً على خفض الدم العالَي بما تسبغه على النفس من سكينة واطمئنان وراحة وما يتبع ذلك من علاج للقلب والشرايين والأعضاء التي تتأثر بارتفاع ضغط الدم العالي ، كما أن خفض هذا الدم إنما يكون قليلا وبطيئاً وعلى فترات متقاربة في اليوم فلا يسبب أثراً سيئاً إذا انخفض انخفاضاً مفاجئا كما قد يحدث باستعمال الأدوية الخاصة التي تخفضه خفضاً مباشراً سريعاً .

والصلاة تخلق في نفس المسلم الثقة بنفسه والنظام في حياته والانقياد إلى إمامه وتنهاه عن الفحشاء والمنكر ، فهو لا يكذب ولا يغش ولا يسرق ولا يقتل ولا يزني ولا يكره جاره ولا يأخذ أكثر من حقه . . ولا يعطي أقل من حق غيره . . فإنه موقن أن الله معه يراه وأنه كل بضعة ساعات يقف بين يديه . . فكيف يكون أمره . . إذا أخطأ بين لقائين ؟ . . وهل يعود مرة أخرى ؟ . .

وإذا عاد . . وندم . . ترى أيعاود الكرة . . ؟

والصلاة تثير في المواطن شعوره بالعزة والكرامة . . فهو يقف بين يدي الله خمس مرات في اليوم . . الله الذي خلق هذا الوجود بعظمته وقدرته وجلاله ورحمته . . يقف المواطن أيا كان مركزه . . ومهما كانت درجة فقره . . ومهما كانت حالة ردائه . . يقف بين يديه لا فرق بينه وبين غيره . . ويقف الجميع في صلاة الجماعة في صفوف متقاربين متساوين . . الأمير . . وبجواره خادمه . . الكبير بجوار الصغير . . الغني والفقير . . . صاحب الأرض والأجير . . كلهم أمام الله متساوون . . . كذلك الأبيض والأسمر والأسود والأصفر كلهم متحابون . . . لا طبقية . . ولا عنصرية . . إنما مساواة . . وألفة ومحبة .

والصلاة تحرر نفوس المسلمين من الخوف . . فالأمر كله من الله . . ومرجعه الى الله . . . فمن يقف بين يدي الله في اليوم والليلة خمس مرات يدعوه . . ويستغفره . . ويعبده . . ويستنصره . . أيخاف بعد ذلك شيئاً ؟ . أو يهاب كائنا . . وكذلك الصلاة تحررهم من الإستعباد . . أي استعباد . . فالذي يدعوه ربه . . خمس مرات للقائه . . لا يكون عبداً لغير الله . . كما أنها تقاوم في الإنسان الشعور بالذل إلا لله . . فالمسلم وهو يصلي إنما يعبد الله مخلصا له العبادة . . الركوع والسجود والضراعة والدعاء لله وحده . .

لذلك فإن الصلاة تخلق المواطن السليم الصحيح الجسد ، الكريم النفس ، العزيز الحر ، القويم الخلق . . الذي لا يخشى إلا الله . . ولا يرتكب إطلاقا ما يغضب الله . . ومن هؤلاء المواطنين يتكون المجتمع الإسلامي . . كما أراده الإسلام . . مجتمعاً متحاب الأفراد . . متعاون الهيئات . . متراحم الجماعات . . مستقيم الغايات . .

وهؤلاء بصلاتهم لهم عند الله أجرهم الكبير ، ويزيدهم سبحانه وتعالى من فضله في الدنيا والآخرة ، بنص الآيات الشريفة :

﴿ إنَّ الَّذين يَتْلُونَ كِتَابَ الله وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُم سِرًّا

وَعَلاَنِيةً يَرْجُونَ تِجَارَةَ لَنْ تَبُورَ . لِيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُم وَيَزِيدَهُم مِن فَضلِهِ إنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ .

وكذلك الآيات الكريمة :

﴿ الَّـذِين يُقيمُونَ الصَّـلاَةَ وَمِمَّا رَزَقنَـاهُمْ يُنفِقُونَ . أُولئِـكَ هُمُ الْمُؤمِنُونَ حقّاً لَهُم دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ .

كَيفَ تخَرُج الزَّكَاة ولماذا؟..

وبعد أن آمنت بالله رباً خالقاً قادراً مقتدراً حكيما خبيرا سميعا بصيراً وأن محمداً عبده ورسوله وأقمت الصلاة ، لا بد أن تؤدي الزكاة التي فرضها الله سبحانه وتعالى على المسلمين وأمرهم بها في آيات كثيرة من القرآن الكريم مثل :

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقدِّمُوا لِأَنْفُسِكُم مِنَ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ الله إنَّ الله بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرُ ﴾ ، ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا الله قَرْضاً حَسَناً وَمَا تُقَدِّمُوا لأنفُسِكُم مِنَ خَيرٍ تَجِدُوهُ عندَ الله هُوَ خَيراً وَأَعْظَمَ أَجراً ﴾ .

وتكررت الزكاة في حوالي اثنتين وثلاثين آية وجاء الأمر بها مقرونا بالصلاة في معظمها .

والزكاة هي جزء معين من مال الإنسان أو زراعته أو ماشيته يقدمها في وقت محدد ولجهات مقررة إسهاما منه في رفع مستوى المجتمع وإقامة بنيانه على أساس متين من التعاطف والتساند والتراحم وتنقسم الزكاة إلى قسمين رئيسين : زكاة الفطر وتسمى زكاة البدن ، وزكاة المال .

فزكاة الفطر أو صدقة الفطر واجبة على كل مسلم حر يملك قدرها

عـلاوة على قوتـه وقوت كـل من يعولهم ليـوم وليلة ويجب دفعهـا عن نفسـه وعمن تلزمه نفقته من زوجـة وأبناء وخـدم وكلُّ من يقـوم بالإنفـاق عليهم من آباء أو أعمام أو غيرهم وقدرها صاع من تمر أو شعير أو قمح أو أرز أو ذرة أو غير ذلك مما يتغذى عليه غالبية الناس ، وذلك عن كل فرد ، والصاع يساوي بالكيل المصـري قدحـا وثلثاً أو قـدحين ، وفي مذهب آخـر قدحين وثلث ، وإذا أخرجت الزكاة قمحاً فيكون قدرها نصف ذلك أي قدحا وسدسا عن كل فرد بحد أقصى ، وهذا الحد من الزكاة يبلغ قيمته نقداً بحوالي عشرة قـروش مصرية عن الفرد الواحد تقريباً . ويجوز إخراج الزكاة نقداً ، بـل إن هذا هـو الأفضل لأن ذلك أكثـر نفعاً للفقـراء إذ يتمكنون بـذلك من تـدبير مـا هم في حـاجة مـاسة إليـه وقد يكـون دواء أو كسـاء أو مـا يمـاثـل ذلـك . أمـا وقت استحقاقها فهو آخر شهر رمضان ، ويجـوز تقديمهـا يومـا أو يومين بـل يجوز تأخيرها عن يوم العيد ، فيجب أن تؤدى قبل الخروج إلى صلاة العيـد حتى يمكن للفقير الذي سيأخذها من الاستفادة بها في يوم العيد . ولا تسقط زكاة الفطر بالتأخر في أدائها بل إنها واجبة الأداء ، وعلى الإنسان أن يؤدي ما في ذمته منها قبل انتهاء الأجل فيحاسب عليها .

وأما أهداف هذه الزكاة فإنها تطهير للصائم مما عسى أن يكون قـد شاب صومه من لغو أو ذنب أو نحو ذلـك مما يجب أن يصـوم الإنسان عنـه ، فهي إذاً طهرة للصائمين وجبراً لما عسى أن يكون قد ارتكبه الصائم من هفوات ؛ ولعل هذا هو بعض معاني حديث سيدنا رسول الله ﷺ الذي يقول : (صـوم رمضان معلق بين السماء والأرض لا يرفع إلا بـزكاة الفـطر) . ومنها كـذلك الدعاء بأن يحفظ الله البدن الـذي أخرجت عنـه الزكـاة إذ تسمى زكاة البـدن وان ذلك يدخل في عموم معنى قـول الله سبحانـه وتعالى ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ .

ومن الفـوائد العـديدة التي تعـود على المجتمع إغنـاء الفقـراء عن ذل الحاجة في يوم العيد ، وهو ما نص عليه الحديث الشريف :

(اغنوهم في هذا اليوم) أو (اغنوهم عن طـواف هذا اليـوم) . ومنها

إدخال الفرحة والسعادة على نفوس الناس جميعاً بحيث لا تكون فرحة العيد قاصرة على الأغنياء فيشمل المجتمع كله إحساس واحد وشعور واحد . . وكذلك فإن الفقير الذي يأخذ الزكاة ويتجمع عنده منها ما يزيد على قوت نفسه وعياله يطالب هو أيضاً بإخراجها عن نفسه وعمن تلزمه نفقته فيشعر بالكرامة والعزة إذ يقدم هو الآخر ما يسعد به غيره فيتلذذ بلذة اليد العليا ويتدرب على البذل والعطاء ويعيش ولو لفترة قصيرة مرة كل عام محسنا لا محسنا إليه .

أما زكاة المال فيشترط لوجوبها على الإنسان أن يكون مسلماً حراً بالغاً ، أما القاصر فتجب في ماله وعلى الولي إخراجها منه ، ويشترط كذلك ان يكون الإنسان عاقلا ، فالمجنون لا تجب عليه وإنما على الولي أن يخرجها من مال المجنون .

ومن شروط وجوب الزكاة أن يكون الإنسان مالكا للنصاب المقرر إخراج زكاته ، وأن يمر على هذا النصاب المدة المحددة لاستحقاق الزكاة وهي الحول ، أي اثنا عشر هلالا فيما عدا الزروع والثمار فموعد زكاتها يوم حصادها أي عند تمام نضجها وكمال استوائها ، وذلك بنص الآية الشريفة :

﴿ كُلُوا مِن ثَمَرِه إذَا أثمرَ وآتوا حَقهُ يَوْمَ حَصَادِه ﴾ .

والماشية عند وصولها إلى حد الزكاة .

والأنواع التي تجب فيها الزكاة هي النعم ، ويطلق النعم على الإبل والبقر وتشمل الجاموس والغنم وتشمل الماعز ، ولا زكاة في غيرها من الحيوان إلا إذا كانت للتجارة ففيها زكاة التجارة . وحتى تجب الزكاة على النعم يشترط أن تكون سائمة أي ترعى الكلأ المباح لأن في ذلك قلة مؤونتها وتوافر نسلها ولحمها وإدرارها بلا نفقة أو كلفة ، أما إذا كانت تعلف أو تستخدم في العمل فلا زكاة فيها لما تتكلفه من مال وجهد في المعلوفة أما العاملة فلأنها تنتج بعملها في الحرث أو الري أو الزراعة ، فزكاة الزروع تتضمن زكاة هذه النعم فلا تجب عليها وحدها . وأما نصاب زكاة النعم فإن كانت من الإبل فلا زكاة إن قل عددها عن خمس فإذا بلغتها وجبت الزكاة

بواقع شاة لكل خمس إبـل إلى أن يصل العـدد إلى خمس وعشرين فتستحق ابنة مخاض وهي ما أتمت سنة ودخلت في سنتهـا الثانيـة ، فإذا بلغت الإبـل ستا وثلاثين استحقت أن تقدم زكاتها ببنت لبون وهي ما بلغت سنتين ودخلت في الثالثة ، وفي ست وأربعين حقة . وهي ما أتمت ثـلاثة أعـوام ودخلت في الـرابـع ، فـإذا بلغت إحـدى وستين ففيهـا جـذعـة وهي التي دخلت في الخامسة ، فإذا بلغت ستا وسبعين ففيها بنتا لبون وفي إحدى وتسعين حقتـان إلى مـائة وعشـرين فإذا زادت ففي كـل أربعين ابنـة لبـون وفي كـل خمسين حقـة .

وإن كانت النعم من البقر فلا زكاة إن قل عددها عن ثلاثين فـإذا بلغتها فتستحق الـزكاة عنهـا بواقـع تبيع أو تبيعة وهي ما أتمت الحـول ودخلت في الثانية من عمـرها وإذا بلغت أربعين ففيهـا مسنة وهي ذات الحـولين ودخلت في الثالثة وإذا زادت على ذلك ففي كل ثلاثين تبيع أو تبيعـة.وفي كل أربعين مسنة وهكذا .

وإن كانت من الغنم فلا زكـاة إن قل عـددها عن أربعين ، فـإذا بلغتها كـانت الزكـاة شاة من جنس الغنم ومن الجنس الغـالب إن كانت خليـطاً بين المعز والضأن . وإذا بلغت الغنم مائة وإحـدى وعشرين ففيهـا شاتـان ، فإذا بلغت مائتين وواحدة ففيها ثلاث شياه وفي كل مائة تزيد على ذلك شاة .

وتجب على الذهب والفضة إذا بلغ القدر الموجود منها عند صاحبها ما يعادل اثني عشر جنيها إذا كان الموجود من الذهب ، أو ستة جنيهات مصرية إن كـانت فضة وأن يكـون من الحول عليهـا وألا تكون على هيئـة سبيكـة أو حلى مستعملة إلا في مذهب الحنفية حيث تجب ، والقدر المحدد للزكاة هو اثنان ونصف في المائـة من قيمتها ، ويلحق بهـذا عروض التجـارة ، فمقدار الزكاة فيها اثنان ونصف في المائة بعد تقويمها على رأس العام .

وأما الزرع والثمار وهي الحبوب وثمار النخل والكروم فإذا زاد قـدرها على أربعة أرادب وكيلتين بالكيل المصري وجبت عليها الزكاة وقدرها خمسة في المـائة إذا كـانت الأرض المزروعـة تروى بـالآلات إذ تحتاج بـذلك إلى

كلفة ونفقة . أما إذا كانت الأرض تسقى بدون إنفاق كـالمحاصيـل التي تنمو على المطر أو من عيون ترسل الماء إلى الأرض بلا كلفة من صاحبهـا فتكون الزكاة عشرة في المائة . . . وزكاة الزروع والثمار تستحق عند حصادها .

هذا ولا تجب الزكاة في دور السكن والثياب الخاصة للاستعمال وأثاث المنزل وسلاح الاستعمـال ودواب الركـوب ، وكذلـك لا تجب في الجواهـر كاللؤلؤ والياقوت والزبرجد ونحوها إذا لم تكن للتجـارة ولا تجب في الكتب غير المتخذة للتجـارة ولا في آلة العمـل اليدويـة التي يحتاج إليهـا المكتسب بيده كالمنشار والقدوم والمقاييس المختلفة وأمثال ذلك .

وتؤدى هـذه الزكـاة إلى أقوام حـددهم القرآن الكـريم في آية مصـرف الزكاة ونصها :

﴿ إنَّما الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَراءِ والمَسَـاكِين والعامِلِينَ عَليهَـا والمُؤلَّفَةِ قُلوبُهُم وفِي الرِّقَابِ والغَارِمِينَ وفِي سبيل الله وابنِ السبِيل ﴾ .

والفقراء :هم الذين لا يملكون نصاب الزكاة أو يملك الواحد منهم أقل من كفاية العام .

والمساكين :هم الذين أعجزهم السن أو المرض عن الكسب .

والمؤلفة قلوبهم :هم قوم غير فقراء ، يـرى الإمام أن في تـوزيع بعض المـال عليهم ما يعـود على الإسلام بـالخير ، إمـا عن طريق نشـر الدعـوة أو الدفاع عنها أو منع أذى محتمل الوقوع على المسلمين .

وفي الرقاب : هو تحرير الرقيق ورفع مستواهم ، وقد انتهى عهد الرق الآن ويمكن استخدام نصيبه فيما يماثله كإنفاق على التعليم .

والغارمون :هم الذين عليهم ديون أثقلت كاهلهم ولا يملكون ما يوفـون به دينهم بشرط ألا يكون سبب الدين يمت بصلة إلى أية معصية .

وفي سبيل الله : هم المنقطعون للغزو والجهاد في سبيل الله ، وكذلك كل ما يحقق مصلحة لدين الله .

وابن السبيل : هو الغريب المنقطع عن ماله في سفر مباح مهما كان غنياً في بلده .

ويشترط في كل من هؤلاء أن يكون مسلما ولا يكون من بني هاشم ولا بني المطلب ولا عتيقاً لواحد منهم ـ لا تكون نفقته واجبة على المزكي فيكون ذلك تحايلا وأن يكون بالغاً عاقلا حسن التصرف .

وتشترط النية ولا يلزم الإعلام بها بل يكره ذلك لما يسببه هذا من كسر قلب الفقير وإشعاره بفقرة ومهانته .

ولما كان الإنسان قد لا يستطيع أن يعمم توزيع زكاته على مصارفها كاملة ، أو لا يمكنه معرفة من يستحق ، أو ترتيب الفقراء في الاستحقاق ، لذلك فإنه يحسن دفع الزكاة إلى الدولة ممثلة فيما تقيمه من مؤسسات خاصة بأموال الزكاة ، فإن ذلك زيادة في الخير وأعم في التوزيع وأصدق في التحديد فإن الدولة تستطيع بأجهزتها أن تتبين الجهات والأفراد الذين يستحقون أكثر من غيرهم من مال الزكاة ، كما أن استثمار هذه الأموال بدلا من حفظها لحين صرفها يزيدها وينميها فيعم الخير . وإن قيام الصناعات وغيرها من الشئون الاقتصادية ليعود على الدولة بأسرها بكل الخير الذي تهدف إليه الزكاة ، إذ أن في ذلك إيجاد عمل للمتعطلين وبديهي أن التعطل من أسباب الفقر إن لم يكن هو السبب الرئيسي علاوة على أن ذلك إنما يزيد من قوة الدولة ويرفع من شأنها فكأن الخير يعم على الفرد والمجتمع والدولة .

وعلى الدولة أن تجبي أموال الزكاة إذا ما استشعرت بأن أي فرد قد أوقف أداءها إذ أن من يمنع فرض الزكاة فهو كافر يجب عليه التوبة ، وإلا قتل كالمرتد ، وقد أمر سيدنا أبو بكر فقاتل بعض من امتنعوا عن أداء الزكاة في عهده وقال : (والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة) وكذلك قال : (والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لجاهدتهم عليه) ، وتقرر آيات القرآن الكريم أن الزكاة إنما هي حق يُؤدى بنص الآيات الشريفة :

﴿ وآتِ ذَا القُـرْبَى حَقَّهُ والمِسكينَ وابنَ السَّبِيـلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تبذيراً ﴾ ، ﴿ إلَّا المُصَلِّين . الَّـذِين هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمـونَ والَّذِينَ فِي أَمْـوَالِهِم حَقٌّ مَعْلومٌ . للسائِلِ والمحْرُوم ﴾ .

والآية الشريفة :

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يُلمِزُكَ فِي الصدَقَاتِ فَإنْ أُعْطُوا رَضُوا وإنْ لم يُعطوا مِنْها إذَا هُم يَسْخطُونَ . وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمْ الله وَرَسُولُه وَقَالُوا حَسْبُنَا الله سَيُؤْتِينَا الله مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إنَّا إلى الله رَاغِبُون ﴾ .

تؤكد أن سيدنا محمد رسول الله ﷺ كان هو القائم بتـوزيع الـزكاة أي أن الدولة الإسلامية إنما كانت تجبي الزكاة وتوزعها ، وكـذلك تحـديد سهم من الزكاة للعاملين عليها أي جباتها لما يؤكد هذا المعنى . .

أمـا لمـاذا يجب أن تؤدى الـزكـاة فـلأنهـا تهـدف إلى خيـر الـدولـة الإسلامية بكافة أفرادها ومجتمعها وصالحها العام فبـالنسبة للأفراد فقد عنيت الـزكاة بـالفقراء ، تعـطيهم أنصبة محـددة يستـطيعـون بهـا محـاربـة أسبـاب فقرهم ، أو على الأقل سد حاجتهم المعيشية وكذلك شملت بيدها المساكين وهم الذين لا يستطيعون العمل .

والفقر يعتبر أهم مشكلة تواجه الفرد في حياته وتعاني منهـا الدول على اختلافها فالفقير الذي يعيش في مجتمع أفراده يتمتعون بـالثراء ولا يتجـاوبون معه بتقديم ما يمسح عنه فقره يشعر بالحرمان الـذي يتولـد معه كـراهية هـذا المجتمـع وبغض افـراده ومـا الجـرائم التي يـرتكبهـا بعض الأفـراد إلا وأهم أسبابها الفقر بعد أن يحس الفقير أنه منبوذ من غيره قـد ترك وشـأنه ، فتتـولد فيه كراهية للغني الذي يحبس ماله عنه ، بل إن معظم الثورات التي تقوم في الـدول إنما سببهـا الرئيسي الفقـر وإحساس الفقـراء أنهم متخلفون عن ركب المجتمـع . بل حتى في المجـال الدولي نجـد أن من أهم أسباب الحـروب التي تنشأ هو رغبة الدول في توفير الحياة والرفاهية لشعوبها عن طريق التوسع ورفع المستوى الاقتصادي لإيجاد وسائل العيش للفقراء. ولقد لجـأت الدول

إلى تجربة مختلف الأنظمة التي تهدف إلى توفير الحياة لشعوبها وتأمين أفرادها ضد الفقر ، فهذه الرأسمالية التي تحاول جمع المال بكافة الطرق وتركيزه معتقدة أن الثراء الذي يصيب أفرادها عن طريق رؤوس الأموال إنما هو سبيل رفع مستوى الدولة وذلك بإيجاد العمل للأفراد ، وهذه الشيوعية في سبيل حماية المجتمع من الفقر منعت قيام الملكيات الفردية ، والفاشية وغيرها كلها أنظمة يحاول العالم بها محاربة الفقر واصلاح حال الفقراء .

ولقد أثبتت التجارب والدراسات أن هذه الأنظمة لا يمكن أن ترقى إلى النظام الإسلامي الذي يهدف إلى قيام اشتراكية تعاونية من أهم أسسها ومقوماتها الزكاة يؤديها كل قادر بنسبة معينة مما عنده طواعية واختيارا وإلا فيجب أخذها عن طريق الدولة ، فالزكاة اذاً هي سبيل منع انتشار المبادىء التي تثير الحقد على الاغنياء وعلى المجتمع وهي طريق إقامة المحبة والألفة بين أفراد المجتمع الفقراء والأغنياء .

والزكاة بما تحدده من سهم منها للعاملين عليها إنما تهدف الى خلق الأمانة والنزاهة في النفوس ومحاربة الرشوة والسحت وحفز الهمم في العمل إذ يأخذ العمال والموظفون الذين يقومون بالعمل قدرا يتناسب مع ما بذله كل في عمله وما أنتجه هذا العمل من مال .

والسهم الذي تحدده الزكاة للمؤلفة قلوبهم يمكن تخصيصه لتحقيق نفس الهدف في خدمة القضايا الإسلامية في المحيط الدولي والدفاع عن الأقليات الإسلامية في مختلف البلاد الأخرى وينضوي تحت هذا البند ما ينشر ويطبع من الرسائل والوسائل الأخرى الخاصة بنشر الدعوة الإسلامية وما ينتج عن ذلك من تعريف للعالم بالإسلام ومحاربة الإلحاد وهو أخطر ما يمكن أن يصيب البشرية في صميمها .

وتهدف الزكاة إلى تحرير كل أفراد المجتمع الإسلامي بعتق الرقاب وإذا كان الرق قد انتهى فيمكن توجيه هذا البند إلى محاربة الجهل عن طريق تيسير العلم لطبقة الفقراء المحتاجين أو ما شابة ذلك .

وأمـا تقريـر الاسـلام دفـع سهم من الـزكـاة إلى الغـارمين وهم الـذين استغرقت الديـون أملاكهم في غيـر معصية لمـا يمتاز بـه الإسلام على غيـره وتفضل به الزكاة غيرها ، فهل هناك أسـوأ حالا من غني خـانه الحظ فـأصبح من المدينين ، ومن مالك حاربته الدنيا فأصبـح من الغارمين ؟ وأمثـال هؤلاء أولى النـاس بالعـطف والبر إذ تجب لهم الـرحمة حتى لا يتملك منهم اليـأس ويقتلهم الهم ويعصف بكيانهم الحزن . فالمجتمع الـذي يسعى إلى تسديـد ديون أمثال هؤلاء والعطف عليهم ومنحهم فرصة أخرى للعمل لهو المجتمـع المتكامل المتساند السليم وهذا هو شأن المجتمع الإسلامي .

ويصرف من الزكاة سهم في سبيل الله وهذا يختص بالناحية العسكـرية والدفاعية للدولة الاسلامية إذ يصرف منه على المحـاربين والمرابـطين وكافـة شؤون الحرب والاستعـداد الحربي للدولـة لتكون على أهبـة الاستعداد لكـل طارىء . .

وأبنـاء السبيل هم الـذين انقطع بهم السفـر عن بلادهم ولا يتيسـر لهم الحصول على ما يعـودون به إلى وطنهم وهـم في حـاجة إلى مـأكل ومشـرب وملبس ونفقة ، فعناية الزكاة بهم إنما هو عمل إنساني جليل لم يسبق أن قـام به غير الاسلام .

وبهذا التوزيع لم يترك الإسـلام جماعـة تحتاج إلى المعـونة العـاجلة والمساعدة الواجبة إلا وقدم لها عن طريق الزكاة ما يهيء لها الحياة الكـريمة ويدفع عنها أذى الحاجة ويحول بينهـا وبين الثورة على النـظم الاجتماعيـة . بل إن الأمر لأعمق من المساعدة الواجبة وتقديم العون ، فـإن الإسلام يقـرر أن هذه الزكاة ليست صدقة من غني على فقير وليست إحسـانا تقـدمه الـدولة لمحتاج بل إن الـزكاة حق يـدفع وواجب يؤدى . . لـذلك لا يشعـر من ينال قسطه من الزكاة بحرج أو ذلك أو جرح لكرامته أو هدم لكبريائه . . . بل إنها ضريبة المجتمع وحق الزمالة وواجب الأخوة . . . وبالزكاة تقـوى الدولـة . . اقتصاديا وعسكريا وثقافيا وتحتل مكانتها اللائقة بإسلامها بين دول العـالم فإن المال، الحلال الذي ساهم فيه كل أفرادها إنما يكفي كل مرافق الدولـة والتي شملها القرآن الكريم في آية مصرف الزكاة .

ولا حدود لخير الزكاة بالنسبة للفرد ، فقد أثبتت الدراسات الحديثة أن أخطر ما يصيب الإنسان سيطرة حب المال على نفسه تلك السيطرة التي تؤدي بالإنسان دائماً إلى المرض بل الانتحار وتجعله في معاملاته لغيره حريصاً على جمع المال واكتسابه وإن طغى على حق غيره بل كثيرا ما يطغى ولا يبالي إن كان طريق جمعه للمال حلالا أم حراما . . وكثيرا ما يكون حراما . . ولا بد من أن تتعقد أحواله . وتسوء أخلاقه . وكلما زاد ماله . . كلما كثر همه وكلما شقت نفسه . . وأول ما يصاب الإنسان بمثل الحالات يكون البخل بما جمعه هو أول سبيل إصابته إذ يسيطر حب المال على نفسه ويقرر أطباء الدراسات النفسية أنه ما من طريق إيجابي لمحاربة هذه السيطرة إلا طريق البذل والجود والعطاء . . وليس أفضل من الزكاة إطلاقاً وقاية وعلاجا لمثل هذه الحالات . . كما أن من نتائج سيطرة المال على الإنسان تخلفه عن الحياة الكريمة وعدم المساهمة والمشاركة في شؤون الغير ، بل إن إهمال أمر الإنسان لنفسه وعائلته بل ودينه هو كذلك من ضمن نتائج سيطرة المال على نفس الإنسان . . والأمثلة من واقع حياتنا كثيرة كلها تؤيد أن الإنسان إذا ما سيطر على نفسه حب المال أهمل نفسه وأهله وأداء فروض عبادته . . وكذلك الأمثلة منذ القدم فقد حدث أن ذهب ثعلبة بن حاطب الى سيدنا رسول الله ﷺ وقال : (ادع الله لي يا رسول الله أن يرزقني مالا) فقال عليه الصلاة والسلام : (ويحك يا ثعلبة ! قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه) ثم عاد ثانياً يطلب فقال له النبي ﷺ (أما ترضى أن تكون مثل نبي الله لو شئت أن تسير معي الجبال ذهباً لسارت) فقال والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله فرزقني مالاً لأعطين كل ذي حق حقه . فدعا له النبي ﷺ فاتخذ غنما فنمت حتى ضاقت عليها المدينة ، وما أن كثر ماله حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة ويترك ما سواهما ثم نمت الغنم أكثر فترك الصلوات إلا الجمعة . ومالبث أن ترك الجمعة أيضاً عندما زاد نموها ، فقال رسول الله ﷺ (يا ويح ثعلبة) ثلاثا ، ثم نزل قول الله سبحانه وتعالى :

﴿ خُذ مِن أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُم وتُزَكِّيهِم بِها ﴾ .

فأرسل ﷺ من يطلب من ثعلبة الزكاة ، فقال ثعلبة (ما هذه الا أخت الجزية) فلماعاد إلى الرسول قال ﷺ (يا ويح ثعلبة) ثم نزلت الآيات الشريفة ﴿ وَمِنْهُمْ مِنْ عَاهَدَ الله لئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لنصَّدَّقَنَّ ولَنَكونَنَّ مِنَ الصَّالحينَ . فلمَّا آتَاهُمْ مِن فضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وتَوَلَّوْا وهُمْ مُعْرِضُونَ . فأَعْقَبَهُمْ نفاقاً في قُلُوبهم إلى يوْمِ يَلقَوْنَهُ بما أَخْلفُوا الله ما وَعَدُوهُ وَبِمَا كانُوا يكْذِبون . أَلَمْ يَعْلَمُوا أنَّ الله يَعْلَمُ سِرَّهُمْ ونَجْوَاهُمْ وأنَّ الله علَّامُ الغُيُوبِ ﴾ وحينما بلغت ثعلبة عاد إلى رسول الله ومعه الزكاة فقال النبي ﷺ (إن الله منعني أن أقبل منك) . ولم يقبلها منه ولحق النبي بالرفيق الأعلى وحساب ثعلبة لا يعلمه إلا الله وحده . . فلقد خاف النبي ﷺ أولا على ثعلبة من سيطرة حب المال على نفسه وحذره من ذلك . . فكان أن حدث ما توقع وسيطر حب المال على ثعلبة ، حتى منعه من أداء فرض الله .

وإخراج جزء من مال الإنسان طواعية واختياراً كل مدة من الزمن يجعل الإنسان في مأمن من أن تصيبه صدمات الخسارة أو تزعجه كثرة الأرباح . فالذي تعود على العطاء . . . بسهولة ويسر . . . يقابل أحداث المال . . . أياً كانت بسهولة ويسر كذلك .

وتمتاز الزكاة على غيرها من ضروب الدفع على الإطلاق بموعد أدائها فهي واجبة مرة كل عام ما عدا زكاة الثمار والزرع فموعدها تمام نموها وهذا أفضل طرق الأداء ، فإن وجوب الزكاة مرة ، كل يوم أو كل أسبوع أو حتى كل شهر يضر برأس المال ويسبب ارتباكا في العمل . ويعطل الإنتاج لما يحتاج الأمر من جرد وتقويم كل يوم أو كل أسبوع الأمر الذي يؤدي في آخره إلى عدم دفعها عن سماح أو تراض . . أما دفعها مرة كل عام . . فإنها مدة كافية ، ويقوم كل صاحب عمل بجرد موجوداته وبيان حالته مرة في كل عام الأمر الذي يستخرج في حينه حق الزكاة تواً . . . كما أنها إذا دفعت مرة واحدة في العمر فإنها تضر بمن وجبت لهم الزكاة من المساكين إذ لا يمكنهم

لذلك الاستفادة الكاملة من الزكاة . فليس أدق ولا أعدل . . ولا أحكم من مواعيد الزكاة .

كما أن قلة نصاب الزكاة يجعل الشعب بأغلبيته المطلقة مشتركا في الإسهام بنفقات المجتمع الأمر الذي ينشر الألفة والمحبة بين الناس . . كما أنها وسيلة إيجابية فعالة من وسائل إعلان المساواة التامة الكاملة بين المسلمين .

والزكاة من أهم عوامل توزيع الثروة وانتقالها بين أيدي مختلف طبقات الشعب ، وبها تقوم ثروات جديدة كما أنها من ضمن سبل إذابة الفوارق بين الطبقات .

والزكاة تخلق في نفوس المسلمين الأمانة ومراقبة الضمير فلا رقيب على الإنسان إلا الله سبحانه تعالى وما يدفعه الإنسان من زكاة حددها بنفسه إنما مرجع ذلك ضميره وأمانته . وهو يعلم بأن الله سبحانه وتعالى هو الرقيب الذي يعلم قدر ما يحب وقدر ما أخرج . . . لذلك نجد المسلمين يخرجون زكاتهم من أجود ما لديهم وأكثر مما هو مفروض عليهم .

والزكاة تشيع العدالة وتدعو اليها في كل أمور الإنسان فليس هناك أي تشريع إطلاقاً يماثل الزكاة في عدالتها فإن تفاوت النسب المقررة فيها تفاوتاً يتمشى مع الجهد المبذول في كسب المال لما يحقق العدالة المطلقة ويضمن السماحة في الأداء ، فبينما أوجبت الزكاة دفع العشر فيما يصادفه الإنسان من ربح مجموع عن طريق زرع بلا كلفة فإنه يوجب نصف العشر فيما كان في تحصيله مشقة وربع العشر في المال .

ولا يمكن حصر كل أهداف الزكاة فإن الخير الذي تستهدفه لا يمكن أن يقيد إذ أنه يعم الفرد والجماعة والمجتمع والدولة في كل القطاعات الفردية والعامة وفي شتى النواحي . . أليست الزكاة هي النظام الذي وضعه الله سبحانه وتعالى وارتضاه لعباده في آخر الأديان؟

أما جزاء الزكاة في الآخرة فقد أعد الله لمن يؤديها أجراً عظيما ،

وذلك بنص القرآن الكريم في مثل الآية الشريفة :

﴿ والمُقِيمِينَ الصَّـلاَةَ والمُؤْتُونَ الـزَّكَاةَ والمُؤمِنُـونَ بالله واليَـوْمِ الآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجراً عَظِيماً ﴾ .

ويا ترى هل هناك من أجر يطمع فيه الإنسان أكثر من رحمة الله التي كتبها سبحانه وتعالى لمن يؤدي الزكاة بنص الآيات الشريفة :

﴿ وَرَحْمتِي وَسِعَتْ كُـلَّ شَيْءٍ فَسَأَكتُبُهـا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُـونَ الـزَّكَـاةَ والَّـذِينَ هُم بِآيـاتِنـا يُؤْمِنُـونَ ﴾ ، ﴿ وَالمُؤْمِنُـونَ وَالمُؤْمِنَـاتُ بَعْضُهُم أَوْلِيـاءُ بَعض يَأْمُرُونَ بالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَـاةَ وَيُطِيعُونَ الله وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُم الله إنَّ الله عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ .

وأما الذين لا يؤتون الزكاة فلهم عذاب شديد إذ يقـول الحق سبحانـه لنبيه :

﴿ قُلْ إنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُم يُوحَى إلَيَّ أَنَّمَا إلَهُكُمْ إلـهٌ وَاحدٌ فـاَستَقيمُوا إليـهِ واستَغفِرُوهُ وَوَيْـلٌ لِلمُشرِكِينَ الَّـذِينَ لَا يُؤتُونَ الـزَّكَـاةَ وَهُم بِـالآخِـرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ ، ﴿ فَوَيْلٌ لِلمُصَلِّينَ . الَّـذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ ساهُون. الَّـذِينَ هُمْ يُراءُونَ . وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ ﴾ .

والماعون هو الزكاة . ويقول سبحانه وتعالى :

﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ والْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُـونَهَا في سَبيـلِ الله فَبَشِّرهُمْ بِعذابٍ أليم . يَوْمَ يُحْمَى عَلَيهَـا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْـوَى بِهَا جِبـاهُهُم وَجُنُوبُهُمْ وَظهُورُهُم هٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنْفُسِكم فَذُوقوا مَا كُنْتُم تَكنِزُونَ ﴾ .

والكنز هو المال الذي لا تؤدى زكـاته وإن يكن مـدفونـاً ، وأما المـال الذي تؤدى زكاته فليس بكنز وإن كان مدفوناً . ويقول الله جل شأنه :

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلونَ بِمَا آتَـاهُمُ الله مِنَ فَضْلِهِ هُوَ خَيْـراً لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ .

والبخـل بما أتـاهم الله هو عـدم أداء الزكـاة المفـروضـة عليهم فيمـا

وهبهم الله من فضله .

وليس أدل على اهتمام الإسلام بالزكاة من أنه جعلها شرط من شروط قبول توبة المشركين والكف عن حربهم وذلك بنص القرآن الكريم في الآية الشريفة :

﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الحُرُمُ فَاقْتُلُوا المشركِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُم وَخُذُوهُم واحْصُرُوهُم واقْعُدُوا لَهُم كلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبيلَهُم إنَّ الله غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

كما جعلها الدليل على دخولهم الإسلام وقيام الأخوة معهم وذلك بنص الآية الشريفة :

﴿ فإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكم فِي الدِّينِ ﴾ .

هذه هي الزكاة ثالث أركان الإسلام وهذه بعض أهدافها . . ألا نستجيب للأمر الكريم في الآية الشريفة :

﴿ فَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِالله هُوَ مَوْلاَكُم فَنِعْمَ المَولَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ .

كَيفَ تصُوم رَمضَان ولماذا؟..

الصيام ركن في كل دين فرضه الله تعالى على عباده منذ عهد آدم عليه السلام ، إذ يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُم الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الذِينَ مِنْ قَبْلِكم لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ .

ولا يعرف ـ تحديدا ـ كيف كان صيام القوم قبل الإسلام ، فإن الكتب المتداولة الخاصة بالأديان الأخرى ليس فيها نص يوضح الصيام وطريقته ، لذلك فإن الطوائف والمذاهب تختلف في صيامها حسب ما وضعه رجال الأديان منهم .

أما الصيام في الإسلام فقد حدد القرآن الكريم موعده وطريقته وشروطه ومن يعفى منه بنص الآيات الشريفة :

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدى لِلنَّاس وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الهُدَى والْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ الله بِكُمُ اليُسرَ وَلَا يُرِيدُ بِكمُ الْعُسْرَ وَلِتُكمِلوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا الله عَلى مَا هَدَاكم وَلَعَلَّكم تَشْكُرُونَ ﴾ ، ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَة الصِّيَامِ الرَّفَثُ إلى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُم وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ الله أَنَّكم كُنْتُم تَختَانُونَ أنفُسَكُم فَتَابَ عَلَيْكم وَعَفَا عَنْكُم فالآن بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ الله لَكُمْ

وَكُلُوا وَاشرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُم الخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الخَيْطِ الأَسوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُم عَاكِفُون فِي المَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ الله فَلاَ تَقْرَبُوهَا كَذلِكَ يُبَيِّنُ الله آياتِهِ لِلنَّاسِ لعلّهم يَتَّقُونَ ﴾ .

وبذلك فإن صوم شهر رمضان فرض واجب على كل مسلم وهو أحد أركان الإسلام الخمسة ، ويجب صومه على كل مسلم بالغ عاقل ، ويحسن تدريب الصبيان على الصوم حتى إذا بلغ حد الصوم صام بلا مشقة أو عسر ، ويستثنى من هؤلاء الحائض والمسافر والمريض .

ويثبت أول رمضان برؤية هلاله بشهادة شاهد عدل وكذلك يثبت آخره برؤية هلال شوال بشهادة شاهدين ، فإذا تعذرت رؤية هلال رمضان بسبب الغيوم أو سوء الأحوال الجوية وجب إكمال عدة شهر شعبان ثلاثينَ يوماً ، وإذا تعذرت رؤية هلال شوال كذلك أكملت عدة شهر رمضان ثلاثين يوماً . والدولة تقوم بذلك إذ ترصد الهلال بأجهزة خاصة وتتصل مراصدها بمراصد الدول الإسلامية الأخرى وتعلن بداية ونهاية شهر رمضان .

فعندما يعلن ثبوت الرؤية ويتقرر صيام اليوم التالي وهو أول رمضان وجب على الإنسان أن ينوي صيامه من الليل والنية هي العزم ولا يشترط فيها النطق باللسان ، إنما يكفي حضور العزم في القلب والبعض يرى أن النية في أول ليلة على صيام شهر رمضان كله تكفي ، ويقول البعض إن النية واجبة كل ليلة ، وعلى كل فإن الإنسان إذا تسحر ليلا أو شرب جرعة ماء استعداداً للصيام فكأنه نوى ، وعليه بذلك أن يمتنع عن الطعام والشراب وأمر النساء من طلوع الفجر إلى غروب الشمس .

ولما كان الإنسان بصومه إنما هو في عبادة الله فإنه لا يجوز أن يأتي بوزر أو خطأ ولو اعتبره صغيراً ، فقد نهى رسول الله ﷺ عن محظورات في الصيام ، فنهى عن الفحش في القول إذ قال عليه الصلاة والسلام (إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فإن شاتمه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم) وكذلك نهى عن الزور في القول أو العمل بنص حديثه

الشريف (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه) ونهى عن الغيبة والكذب والنميمة واليمين الكاذبة والنظرة بشهوة فقال (خمسة يفطرن الصائم : الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظرة بشهوة) . ويقول البعض إن هذه الأمور تفسد الصوم وتبطله والبعض الآخر يقول إنها لا تبطل الصوم ، ولكن الصيام يتم وتكمل مثوبته باجتنابها .

ويبطل الصيام إذا أكل الصائم أو شرب متعمدا بعد طلوع الفجر إلى غروب الشمس وهو يعلم أنه في مدة الصوم وعليه القضاء بأن يصوم يوما بدلا من يومه والاستغفار لهذا الذنب الكبير إذ تعمد عدم طاعة الله وأما إذا كان الصائم متزوجا وتعمد الجماع أثناء فترة الصيام أي من طلوع الفجر إلى غروب الشمس فعليه علاوة على القضاء بصيام يوم بدلا منه كفارة وهي عتق رقبة ، أي تحرير عبد رقيق أو أمة رقيقة أو صيام شهرين متتابعين أو إطعام ستين مسكينا . وكذلك يبطل الصوم إذا تعمد الصائم القيء وعليه قضاء يوم بدلا منه .

أما من غلبه القيء غير عامد له فليكمل صومه إذ أن ذلك لا يبطل الصوم . وكذلك من أكل أثناء صومه أو شرب ناسيا فصيامه صحيح وعليه أن يكمل يومه وكذلك من أكل أو شرب أو باشر زوجته وهو يعتقد أن الفجر لم يطلع لأن ما حوله ظلام ثم إذ به يرى ضوء الصبح أو فعل ذلك معتقدا أن الشمس غربت ثم تبين أنها لم تغرب بعد فليتم كل صيامه فإنه ما فعل ذلك عمدا ، والخطأ والنسيان لا وزر على الإنسان بهما بنص حديث سيدنا رسول الله ﷺ الذي يقول (إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) . وكذلك إذا أصبح الصائم جنبا فلا شيء على صيامه وكذلك من احتلم .

وللصائم أن يغتسل أثناء صومه من الحر أو يتمضمض وله أن يتطيب وكل ما دخل جوفه من أنفه أو فمه وهو غير مستطيع منعه كغبار الطريق أو رذاذ الطحين إذا كان عاملا في مطحن أو روائح الأكل أو غير ذلك فلا وزر

عليه وصيامه صحيح . ويمكن للصائم أن يتداوى بالحقن أيا كانت تحت الجلد أو الوريد أو الحقنة الشرجية فإن ذلك ليس الطريق الطبيعي للغذاء .

وقد استثنى الإسلام من وجوب الصوم الحائض والنفساء فحرمه عليهما فإذا دخل رمضان على المرأة وهي حائض أو نفساء انتظرت حتى تطهر ثم تصوم باقي رمضان وعليها أن تقضي أياما بعدد ما فاتها من أيام رمضان بسبب حيضها أو نفاسها وإذا جاءها الحيض أو نفست أثناء رمضان فعليها أن تفطر فورا ثم تعود إلى الصيام بعد أن تطهر وتقضي بعد رمضان ما فاتها من أيام . . .

وكذلك أجاز الإسلام للمريض والمسافر الإفطار خوفا عليهما من المشقة والعسر وهذا بنص الآية الشريفة :

﴿ وَمَن كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَر يُرِيدُ الله بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْر ﴾ .

وأطلق القرآن الكريم لفظ المرض دون تحديد حتى يكون كل إنسان على نفسه رقيبا . . . فكل من مرض بأي مرض وخشي على نفسه من الصوم فعليه أن يفطر ثم يصوم بعد ذلك أياماً بعدد ما أفطر . . وكذلك المسافر له أن يفطر مهما كانت وسيلة سفره وإطلاق لفظ السفر إنما يعني ما خشي الإنسان على نفسه منه إذا كان في صوم . . والمسافر أن يفطر قبل خروجه للسفر أو أثناء السفر .

وللحامل والمرضع أن تفطرا إذا خافتا على نفسيهما أو ولديهما وعليهما أن تصوما ما فاتهما من رمضان بعد انتهاء الحمل والارضاع .

والعجوز والمريض بمرض لا يرجى برؤه ولا يمكنهما الصوم وكذلك القضاء فليس عليهما الصوم ويرى البعض أنه يجب على الواحد منهم أن يفطر عن كل يوم مسكينا وهي الفدية ، ويرى البعض الآخر أنه لا فدية عليهم إذ لا يلزمهم الصوم ، وعلى كل إن استطاع العجوز أو المريض بمرض لا يرجى برؤه أن يقدم فدية فهي قربى إلى الله وصدقة وإن لم يستطع فليس عليه شيء .

وعلى كل فليعلم كل إنسان أن هذه العبادة أمانة بين العبد وربه وهو سبحانه الذي يعلم بما يخفي كل صدر وما توسوس به كل نفس وسيحاسب كل على حسب ما نوى وأراد .

ويستحب في الصيام السحور ولو بجرعة ماء إشعارا للنفس بالعبادة وتغبيراً لعادة الإنسان كما يستحسن تأخير السحور ما أمكن فإذا طلع الفجر وسمعت آذانه فعليك بالرفع بعد أن تنتهي مما في يدك فإن كان في يدك إناء الماء مثلا فلا تعجل بإلقائه بل عليك بشرب حاجتك ، فقد قال رسول الله ﷺ : (إذا سمع أحدكم النداء والإناء في يده فلا يضعه حتى يقضي حاجته منه) .

ويستحب أيضاً تعجيل الفطر وأن يدعو الله بالقبول وبما شاء وإذا كان رمضان هو شهر يعود في كل عام وفيه عبادة لا يقوم بها الإنسان إلا مرة كل عام ، لذلك وجب على الإنسان أن يحسن فيه العبادة وأن يحاول قدر استطاعته أن يكون في هذا الشهر مستغفراً تائبا متصدقا متقربا إلى الله وأن يكثر من تلاوة القرآن الكريم والاستماع إليه وتدبر آياته وتفهمها لا سيما وأن رمضان هو شهر القرآن إذ فيه أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم بنص الآية الشريفة :

﴿شهرُ رَمضانَ الذِي أُنْزِلَ فِيهِ القُرْآنُ هُدىً للنَّاسِ وبينَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ .

وقد أنزله جل شأنه في ليلة القدر وهي لذلك خير من ألف شهر إذ يقول القرآن الكريم عنها :

﴿ إنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلةِ الْقَدْرِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ . لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ ألفِ شَهْر . تَنَزَّلُ الملائِكةُ والرُّوحُ فيهَا بإِذْنِ ربِّهِمْ من كلِّ أمرٍ . سَلاَمٌ هِيَ حتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ .

وقد وجب الصوم في شهر رمضان احتفالا بذكرى نزول القرآن الكريم ولذا فإن شهر رمضان هو شهر القرآن .

وتقع ليلة القدر في العشر الأواخر من شهر رمضان في الليالي الفردية فقيل إنها ليلة الحادي والعشرين وقيل ليلة الثالث والعشرين وقيل ليلة الخامس والعشرين ، وتعتقد الغالبية أنها ليلة السابع والعشرين ، ولذلك يستحب طلبها في العشر الأواخر من رمضان وذلك بالاستغفار والصلاة والدعاء والصدقة والبر والإحسان والإكثار من تلاوة القرآن .

أما لماذا نصوم فقد أثبت التقدم العلمي في العصر الحديث أن الصيام الذي فرضه الله سبحانه وتعالى على المسلمين له أهداف كثيرة وفوائد عديدة تشمل كافة نواحي الإنسان الروحية والجسدية علاجية ووقائية وتشمل المجتمع كذلك .

لقد كان المعروف المتواتر أن الصوم دعوة روحية ليحس الغني بإحساس الفقير إذا جاع فيشمله ببره وكان خصوم الإسلام كثيراً ما يتساءلون لماذا يصوم الفقير ولماذا يصوم الغني الذي يتصدق ويخرج للفقير حقه أو أكثر من حقه .

إلا أنه بعد أن تقدمت كل وسائل المعيشة وحملت المدنية معها من الأمراض ما كانت لا تعرفه الحياة نتيجة لتنوع أساليب الغذاء وزيادة اهتمام إنسان هذا العصر بكثرة الأكل ووفرته والتفنن والاتقان في طبخه ، كل ذلك أنتج أمراضا عرفها الطب بأنها أمراض الغذاء . . وكثرة الأكل . ولذلك تنادي أحدث نظريات علم الصحة أنه من الواجب لا سيما للإنسان بعد طور الشباب أن يصوم يوما على الأقل في كل أسبوع أو أسبوعا في كل شهر ، والأفضل شهراً في كل عام ، إذ قد ثبت أن الإنسان غالباً ما يصاب ببعض البؤرات الصديدية التي تتكون داخل جسمه وتصب إفرازاتها في الدم ولا يشعر بها الإنسان إلا إذا زاد هذا الإفراز . . . وعرف بالتجربة العلمية والدراسة الطبية أن الصوم خير وسيلة لتجنب الاصابة بهذه البؤرات إذ عندما تقل المواد الغذائية في الجسم يبدأ الجسم في استهلاك أنسجته الداخلية ، وأول ما يستهلكه منها الخلايا المصابة التي تكون قد ضعفت نتيجة الالتهاب ، كما يذيب الصيام أية أورام صغيرة في أول تكونها ويمنع تكوين

الحصوات والرواسب الجيرية إذ يحللها إلى أجزاء صغيرة وفي ذلك يقول الدكتور الطبيب الأخصائي روبرت بارتولو (لا شك في ان الصوم من الوسائل الفعالة في التخلص من الميكروبات لما يتضمن من إتلاف للخلايا المصابة ثم إعادة بنائها من جديد) .

ويقول الدكتور المرحوم عبد العزيز إسماعيل الأخصائي الباطني الكبير (إن الصيام يستعمل طبياً في حالات كثيرة ووقائياً في حالات أكثر ، وإن كثيراً من الأوامر الدينية لم تظهر حكمتها وستظهر مع تقدم العلوم ، فلقد ظهر أن الصيام يفيد طبياً في حالات كثيرة وهو العلاج الوحيد في أحوال أخرى . فللعلاج يستعمل في اضطرابات الأمعاء المزمنة والمصحوبة بتخمر . ويستعمل في زيادة الوزن الناشئة من كثرة الغذاء . وكذلك في زيادة الضغط ، أما في البول السكري فلما كان قبل ظهوره يكون مصحوباً غالباً بزيادة في الوزن ، فالصوم يكون بذلك علاجاً نافعاً . ولا يزال الصيام مع بعض ملاحظات في الغذاء أهم علاج لهذا المرض . والصوم يعتبر علاجا لالتهاب الكلى الحاد والمزمن وأمراض القلب ، والصيام مدة شهر في السنة يعتبر خير وقاية من كل هذه الأمراض) .

ويقول الدكتور محمد الظواهري أخصائي الأمراض الجلدية (إن كرم رمضان يشمل مرضى الأمراض الجلدية إذ تتحسن بعض الأمراض الجلدية بالصوم وعلاقة التغذية بالأمراض الجلدية متينة إذ أن الامتناع عن الغذاء والشراب مدة ما تقلل من الماء في الجسم والدم ، وهذا بدوره يدعو إلى قلته في الجلد وحينئذ تزداد مقاومة الجلد للأمراض الجلدية المعدية والميكروبية ومقاومة الجسم في علاج الأمراض المعدية هي العامل الأول الذي يعتمد عليه في سرعة الشفاء ، وأن الجسم الذي لا يقاوم الميكروبات ويدفعها ينهار ويضعف تأثير الدواء المبيد للميكروبات مع الجسم القليل المقاومة ، وقلة الماء من الجلد تقلل أيضا من حدة الأمراض الجلدية الالتهابية والحادة والمنتشرة بمساحات كبيرة في الجسم وأفضل علاج لهذه الحالات من وجهة الغذاء هي الامتناع عن الطعام والشراب لفترة ما ، ولا

يسمح إلا بقليل من السوائل البسيطة وقلة الطعام تؤدي إلى نقص الكمية التي تصل منه إلى الأمعاء وهذا بدوره يريحها ويقلل من تكاثر الميكروبات الكامنة بها وما أكثرها وعندئذ يقلل نشاط تلك الميكروبات المعدية ويقل إفرازها للسموم وبالتالي يقل امتصاص تلك السموم من الأمعاء وهذه السموم تسبب العدد الكثير من الأمراض الجلدية ، وإن الأمعاء لبؤرة خطرة من البؤر العفنة التي تشع سمومها عند كثير من الناس وتؤذي الجسم والجلد وتسبب لهما أمراضاً لا حصر لها . وشهر الصيام هو شهر الهدنة للراحة من تلك السموم وأضرارها والصيام كذلك علاج لأمراض زيادة الحساسية وأمراض البشرة الدهنية) .

واعترف الأطباء الأجانب من غير المسلمين بفوائد الصوم وعلى رأسهم الطبيب العالمي الدكتور الكسيس كاريل الحائز على جائزة نوبل في الطب والجراحة إذ يقول في كتابه الذي يعتبر حجة في الطب : (الإنسان ذلك المجهول) ما نصه : (إن كثرة وجبات الطعام وانتظامها ووفرتها تعطل وظيفة أدت دوراً عظيما في بقاء الأجناس البشرية وهي وظيفة التكيف على قلة الطعام ، كان الناس في الزمان الغابر يلتزمون الصوم في بعض الأوقات وكانوا إذا لم ترغمهم المجاعة على ذلك يفرضونه على أنفسهم فرضا بإرادتهم ، إن الأديان كافة لا تفتأ تدعو الناس إلى وجوب الصوم . يحدث الحرمان من الطعام اول الأمر الشعور بالجوع ويحدث أحياناً بعض التهيج العصبي ثم يعقب ذلك شعور بالضعف، بيد أنه يحدث إلى جانب ذلك ظواهر خفية أهم بكثير منه ، فإن سكر الكبد يتحرك ويتحرك معه أيضاً الدهن المخزون تحت الجلد وبروتينات العضل والغدد وخلايا الكبد وتضحي جميع الأعضاء بمادتها الخاصة للابقاء على كمال الوسط الداخلي وسلامة ، القلب . وإن الصوم لينظف ويبدل انسجتنا) ، وبديهي أن الصوم الذي يقول به الدكتور الكسيس كاريل يطابق تماما الصوم في الإسلام إذ أنه يغير من انتظام وجبات الطعام ويقلل من كميات الغذاء .

وإذا كانت كافة النصائح الطبية تلتقي حول نصيحة هامة هي إتاحة

الفرصة لأجهزة الجسم للراحة بعض الوقت وذلك أسوة بالأجهزة اللاإرادية والتي تعمل بعيداً عن تدخل الإنسان كالقلب والعين مثلا فبين كل حركة وأخرى فترة من راحة ، أفلا يجب على جهازنا الهضمي ونحن نتخمه كل يوم بل كل ساعة بما ينوء تحته من مختلف الأطعمة أن يأخذ فترة من الراحة يتخلص فيها من الفضلات التي تترسب وتتراكم نتيجة زيادة الغذاء عن حاجة الإنسان ، وتستريح المعدة والكبد والبنكرياس والأمعاء على اختلافها لفترة بحيث يتجدد نشاطها وتستعيد قوتها .

وكثير من المصطلحات العالمية في أنحاء مختلفة من الدنيا اتخذت الصوم من سبل العلاج لما ثبت أنه الوسيلة الوحيدة للتخلص من الفضلات الزائدة عن حاجة الإنسان والتي ترهق الأعضاء على اختلافها وذلك بطريق طبيعي لا يؤثر تأثيراً سيئاً عليها ولا على غيرها من الأعضاء .

ولا يقتصر فضل الصوم على الناحية الجسدية من وقاية وعلاج ، بل إن الصوم من أهم الوسائل الفعالة في تربية النشء وغرس الأخلاق الكريمة في النفوس فهو يخلق في الإنسان الصبر ، وأشد الصبر هو صبر الجائع وما أهون الصبر بعد صبر الجوع ، وصدق سيدنا رسول الله ﷺ إذ يقول : الصوم نصف الصبر فالصائم بصومه يتعود الصبر ، فنجده لا يقلق في حياته فإن القلق من أهم أسبابه عدم الصبر ، كما أن الصيام يغرس في النفس الأمانة بطريقة عملية ، إذ أن الصائم يدع أكله وشربه وهو في أشد الحاجة إليه دون أن يكون عليه رقيب غير الله فلا يقرب الأكل والشرب بدافع من الأمانة ولذلك يقول سيدنا رسول الله ﷺ : (إن الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته) هذا علاوة على ما يسببه الصوم من تهذيب للنفس بكبح جماح شهواتها والحد من إسرافها في مطالبها .

والصوم يقيم المجتمع الإسلامي على أساس من التواد والتراحم والتعاطف بكثرة الصدقة فيه إذ أن من أهداف الصوم أيضاً بر الفقراء والعطف على المحتاجين ، إذ بالصوم تتوافر الامكانيات لذلك لكل صائم ، فالصائم يتناول في صومه وجبة ونصف إذ يعتبر السحور نصف وجبة لما يجب أن

تكون عليه هذه الأكلة بينما يتناول في غير صومه ثلاث وجبات وبهذا تعتبر تكاليف الصائم المادية من ناحية الغذاء نصف تكاليفه وهو غير صائم ، وأيضاً مهما أسرف الصائم في تناول مشروباته التي اعتاد عليها بعد الفطور من قهوة أو شاي أو مكيفات كأنواع الدخان فإنه لا يتناول منها إلا ما يقرب من نصف ما يتناوله في غير أيام صيامه كحد أقصى . أي أن في الصوم تقل نفقات الإنسان المعيشية إلى النصف تقريباً ولذلك يجد الصائم ما يجود به على الفقير والمحتاج عندما يحس بآلام الجوع والعطش . لذلك وجبت زكاة الفطر وفرضت فرضاً عقب انتهاء شهر رمضان والمعروف المؤكد أن مواعيد الزكاة بأنواعها تتناسب وتوافر المال عند صاحبه فهي في الزرع عند الحصاد أي عندما يحصل المالك على ثمار حقله وفي المال عندما يحول عليه الحول وبذلك فإن زكاة الفطر إنما تعني أنه قد توافر للصائم ما يخرج به زكاة إجبارية تشمل ببرها الفقراء والمحتاجين والأرامل واليتامى . لذلك فليس من حسن الصيام ولا لتحقيق هدفة كثرة أصناف الطعام في الإفطار والمغالاة في أنواعها والزيادة في تكاليفها فليس طابعه الأكل ولا تنوع أصنافه ولا زيادة كمياته فليس لذلك يهدف الصوم لا من الناحية الصحية ولا من الناحية الروحية ولا من الناحية التعبدية ولا من الناحية الاقتصادية .

وكذلك ينشر الصوم بين أفراد المجتمع السلام والمحبة إذ يمتنع الصائم عن السب واللعن والفحش ويتسامح الناس بعضهم مع بعض .

والصوم يعتبر ضمن وسائل إعلان مساواة الناس جميعاً إذ يتساوى عملياً أفراد المجتمع الإسلامي فيصومون ويفطرون في وقت واحد مهما تباينت درجاتهم واختلفت ألوانهم وبعدت أماكنهم فهو إذاً دعوة إيجابية للمساواة .

ولا يسبب الصوم أي تعطيل للقوى الانتاجية كما قد يتبادر إلى الذهن إذ أثبتت الأبحاث الطبية أن الإنتاج الفكري يجود أثناء الصوم إذ لا تنصرف الدورة الدموية عن المخ إلى الهضم كما ثبت أن العمل اليدوي يقل أثناء امتلاء الإنسان بالأكل علاوة على ما تسببه مباشرة العمل بعد الأكل من عسر

للهضم واضطراب في المعدة والأمعاء .

وأما جزاء الصائم في الآخرة فحسبه انه أطاع الله ورسوله وأجره على هذه الطاعة إنما هو الفوز العظيم ، وذلك بنص الآية الشريفة :

﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَه فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظيماً ﴾ .

والجنة جزاؤه بما أطاع بنص الآية الشريفة :

﴿وَمَن يُطِع الله ورسولَه يُدخِلهُ جَنَّاتٍ تجرِي مِن تحتها الأنهار ﴾ .

وسيجد الصائمون بعض جزاء صومهم فيما تقول الآية الشريفة :

﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بَمَا أَسْلَفْتُم فِي الأَيَّامِ الخَالِيَة ﴾ .

وهكذا يثبت التقدم الفكري والعلمي في عصرنا الحديث أن الصوم يحقق للإنسان أهدافاً عديدة وخيرات كثيرة وأنه يشمل بفضله نواحي الإنسان المختلفة وكافة أفراد المجتمع كما يضمن للإنسان أحسن الجزاء في الآخرة . ولهذا تقول الآية الشريفة عنه :

﴿ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُم إنْ كُنْتُم تَعْلَمُون ﴾ .

كيف تحج بيت الله الحرام ولماذا ؟..

فـرض الله سبحـانـه وتعـالى على المسلمين حـج بيتـه الحـرام لمن استطاع إلى ذلك سبيلا بنص الآية الشريفة :

﴿ ولله عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيهِ سَبِيلاً ﴾ .

فهو فريضة واجبة الأداء على كـل مسلم وهو ركن من أركـان الإسلام الخمسة التي جمعها سيدنا رسول الله ﷺ في حديثه الشريف بقـوله (شهـادة ألا إلّه إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت) .

والكعبة الشريفة بيت الله الحرام لا يعرف تحديداً أو على سبيل القـطع تاريخ قيامها ولكن الثـابت المؤكد أنهـا قديمـة بل وقـديمة جـداً ، فهي قبل التاريخ إذ منذ العصور الساحقة والأجيال البعيدة السابقة ، والكعبـة الشريفـة لهـا مكانتهـا وتقديسهـا وشرفهـا ، ويتنافس الأشـراف والعظمـاء في خدمتهـا والقيام بطلبات زوارها . ويرى البعض أن سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام هو أول من بنى الكعبة مع ولده إسماعيل . ويـرى البعض الآخر أنهـا سابقـة على ذلك ، وأنها كانت موجودة من قبل ذلك ، وأن الطوفان في عهد سيـدنا نوح عليه السلام قد أثرفي بنائها ولم يترك إلا أساسهاوأن سيـدنا إبراهيم إنمـا أقام البناء على القواعد التي كانت موجودة وأن هذا هـو معنى الآية الشريفة :

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِن الْبيتِ وإسماعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ .

وأن الله سبحانه وتعالى كشف لسيدنا إبراهيم مكان البيت أي على ذلك يكون البيت سابقاً على عهد سيدنا إبراهيم، وذلك بنص الآية الشريفة :

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أن لاَ تُشْرِكْ بي شَيئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ والْقَائِمينَ والرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ .

ويكون بذلك بناء الكعبة تم في عهد سيدنا آدم عليه السلام وأن الملائكة شاركته البناء أو أنها انفردت به . وأن الله سبحانه وتعالى وقد شاء فأمر أن يهبط آدم من الجنة إلى الأرض فحرم بذلك من خير كثير ونعيم وفير وسعادة وافرة برؤية الملائكة وسماع تسبيحهم والاشتراك معهم . . ولما كان الطواف سبيل من سبل العبادة والاستغفار والتسبيح . . وقد رأى آدم الملائكة وهم يطوفون . . فأراد الله جل شأنه أن يجعل لآدم في الأرض ما يذكره دائما به جل شأنه وما يطوف حوله تمثلا بالملائكة وقد ثبت أن كل ما في الوجود إنما يتحرك . . وكل حركة إنما تتحرك في حركة طوافة حول مركز يوجد في كل شيء بل وقبل أي شيء وبعد كل شيء ، ومنه تنبعث القوة التي تحكم الوجود والنور الذي يشرق على الوجود . . . فكما أن خلايا آدم بل ومكوناتها إنما هي في حركة دائمة وطوافة . . فكان لا بد لآدم . . وكل إنسان من بعده أن يكون متسقاً مع داخليته . . منسجما مع حركته الذاتية . . في عبادة وتسبيح وصلاة وتكبير . . وطواف وسجود وركوع فكانت الكعبة الشريفة . . ليطوف بها . . وأن الإنسان بطبيعة تكوينه المادي . . يميل إلى الماديات . . وعقله المحصور . . إنما يستوعب ما يقع تحت الحصر . . فأراد الله . . فكانت الكعبة الشريفة . . قطعة مادية . . لها أول وآخر . . وطول وعرض وارتفاع . . إذا وضع الإنسان يده عليها . . شعر بإحساس يملأ قلبه . . أنه قريب . . من صاحب الدار . . وإذا وقف بالباب . . أو تعلق بالأستار . . عرف أنه أمام أوسع باب . . باب الله . . وأنه يتعلق بأعظم الأستار . . ستر بيت الله . . ويؤيد رأي القائلين ببناء الملائكة للكعبة الشريفة مع آدم . . أو

بدونه . . وجود الحجر الأسود فيها وهو حجر أسود مصقول لامع . . لا يوجد مثيله ولا شبيه به . . . ولا قطعة غيره ، فقد قامت بعثات دراسية تجوب كافة الجبال الموجودة بالبلاد العربية لعلها تعثر على حجر مثله فلم تجد على وجه الإطلاق . . وهنا يرى البعض أنه من ضمن الأحجار التي بنت بها الملائكة الكعبة لعدم وجود قطعة غيره ولانفراده عن باقي أحجار جبال العرب . . ويقول البعض أن الكعبة كانت مغطاة بياقوتة حمراء رفعت بموت آدم عليه السلام . . والمؤكد الثابت في ذلك أن الكعبة قديمة . . وأنها أول بيت وضع للناس لعبادة الله سبحانه وتعالى ، يعترفون بربوبيته وينادون بوحدانيته ويستغفرونه ويتوبون إليه ، وذلك بنص الآية الشريفة :

﴿ إنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدىً لِلعالَمِين ﴾ .

وإن هذا البيت كما أنه سبيل التوبة فهو سبيل الثواب والأمان وذلك بنص الآية الشريفة :

﴿ وَإذ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً . وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إبْرَاهِيمَ مُصَلّى . وَعَهِدْنَا إلَى إبْرَاهِيمَ وإسمَاعِيلَ أَنْ طهِّرَا بَيْتِيَ لِلطائِفِينَ وَالْعَاكِفينَ والرُّكَّعُ السُّجُودِ ﴾ .

والحج تلبية لدعوة الله إذ عندما يؤذن المؤذن بالحج يودع الله سبحانه وتعالى في قلوب من شاء من عباده الاستجابة فنجد العباد الذين أكرمهم الله بضيافته . . . يحسون بما لا يستطيعون وصفه أو فهمه . . فهم يبكون بدموع من أعينهم . . . لأشواق في قلوبهم . . . تجدهم لا يقر لهم قرار . . . ولا يهدأ لهم بال . . ، حتى تخرج من قلوبهم دعوة الاستجابة في شكل دعاء جميل يقولون فيه (لبيك اللهم لبيك . . . لبيك لا شريك لك لبيك . . إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك) . . أي أنهم استمعوا النداء . . . ولبوا الدعوة . . . وهذا ما يقرره القرآن الكريم في الآية الشريفة :

﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ .

وهكذا ما أن يتردد النداء بالحج حتى يلبيه الناس من كل دولة ومن كل مكان . . . ألوف تتقاطر لا يعلم إلا الله سبحانه وتعالى كيف وصلها النداء . . وكيف سعت . . لتقف بالباب . . تلبي الدعوة ويحدوها الأمل والرجاء .

لهذا وجب على كل مسلم عقد النية على الحج أن يتجه بقلبه إلى ربه وألا يكون مقصده من حجه لمس الأحجار أو التبرك بالاستار بل يعلم ويعتقد أنه قصد رب الدار . . . تلبية لدعوة الكريم الغفار .

وإذا كان الإنسان يحرص عندما يلبي دعوة كبير أو رئيس أن يرتدي أنظف ثيابه . . . فكيف به عندما يلبي دعوة الله ؟ ألا يجب عليه تطهير ثوبه وتنظيف ردائه ؟ . . إن أوساخ نفوسنا هي الذنوب . وإن ما يلوث قلوبنا هي الخطايا . . . فليحاول الإنسان قبل حجه أن يتحرر من ذنوبه وأن يتحلل من كل حرام . . . فمن كان عليه دينا فليسدده ومن كان منا لم يتحرز من الحرام ولم يبال من أي طريق كان ماله . . . فلينظر في أمره . . . ولا رقيب عليه إلا الله . . . الله وحده . . . الذي يعلم . . . الحلال . . . وقدره . . . والحرام وكميته فليتق الله ربه . . . وليتحرر من الحرام قدر ما يعلم . وليستغفر الله فيما لا يعلم . . . والله به أعلم . . ومن أخطأ في حق زميل أو جار فليستسمحه ويتوب . . ويستغفر الله عن كل ذنب وخطأ . . . فهل يجوز لأي إنسان أن يتوجه إلى زيارة بيت الله بمال حرام . . أو مشتبه فيه . . . وهل يجوز لإنسان أن يترك مظلوما ظلمه . . . أو يتيما قهره . . . أو مسكينا بغى عليه . . . ويذهب طالبا لقاء الله . . . الله سبحانه الذي خلق المظلوم . . . وهو رب اليتيم . . . وإله المسكين . . . كيف يلقاه الله ؟ .

فعلى الإنسان منذ الآن . . . أن يفكر في أمر نفسه وأمر غيره معه . . فلا يجعل عليه لغيره شيئا . . حتى يكون مستعدا للزيارة المباركة . . والحجة المبرورة .

والحج لا يجب على الإنسان إلا مرة واحدة في العمر وذلك على كل

مسلم بالغ عاقل وبشـرط الاستطاعـة وهي توافـر ما يكفيـه من المال لنفقـات السفر والحج ويكفي من يعولهم حتى يرجع وكذلك توافر وسائل السفر وأمان الطريق والصحة وكل ما يجعل الحج مستطاعا وذلك بنص الآية الشريفة :

﴿ وَلله عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَن استَطاعَ إليهِ سبيلاً ﴾ .

وإذا حج الصبي قبل البلوغ لا تسقط عنه الفريضـة فيجب عليه الحـج بعـد البلوغ وتكون حجتـه الأولى تطوعـا وعلى المرأة أن يصحبهـا زوجهـا أو أحد محارمها فإذا لـم تجـد فعليها الحـج بلا محـرم . ومن أقعده المـرض أو الشيخـوخة عن الحـج فعليه ان ينيب غيـره عنـه في الحـج بشـرط أن يكـون النائب عنه قد حج نفسه . ومن مات ولم يحج برغم استطاعته فعلى وليـه أن يحج عنه أو ينيب غيره عنه ليحج عنه من ماله الذي تركه .

فإذا ما عقد المسلم نيته على الحج واتخذ عدته فعليه منذ لحظة قيامه من منـزلـه أن يصـرف عن نفسـه الـدنيـا ومشـاغلهـا ويبتعـد عن الحيـاة ومشـاكلهـا . . . وألا يشغـل قلبـه وفكـره بغيـر الله . . . الـذي عـزم على زيارته . . . فلا يجعل له شريكا في باله . . . وعليه بالإكثار من تـلاوة القرآن الكريم وإقامة الصلاة التامة الأركان وترديد الدعاء . . . وذكر الله ما أمكن في كل لحظة وحين . . بتدبر آياته . . والتفكيـر في عظيم قـدرته . . فـإذا وصل الإنسـان إلى مكان الإحـرام فعليه أن يحـرم . . . وهذه الأمكنـة حـول مكـة وتعتبـر إيذانـا بالقـرب من بيت الله فيجب على الإنسان وقـد اقترب أن يغيـر حاله إشعاراً لنفسه بـأنه قـد أصبح في مجـال البيت فلا يجب أن يقتـرب منه وهـو على حـالـه . . . إذ يجب أن يكـون على حـال آخـر يتنـاسب وجـلال الموقف وخطورة الأمـر . . . وهذه الأمـاكن عينها رسـول الله ﷺ بنفسه لكـل قادم من أي جهة وتقـع ذو الحُليفة وهي ميقـات إحرام أهـل المدينـة المنورة ومن في حكمهم شمـال مكـة على بعـد اربعمـائـة وخمسين كيلو متـراً ، والجحفة وهي قريـة شمال مكـة بغرب وهي ميقـات إحرام أهـل الشام وقـد خربت واستبدلت بها قرية رابغ وهي الآن ميقات إحرام مصر وما يليهـا شمالا كبلاد الترك والبلقان وما بعدها غربا كبلاد ليبيا وتونس والجزائـر . . . ويلملم

وهـو جبل يقـع جنوب مكـة وهو ميقـات إحرام أهـل اليمن والبلاد التي تقـع جنوبها وقرن المنازل وهو ميقات احرام أهل نجد . وعلى كل حاج يصل إلى مكان من هذه الأمكنة أن يحرم ولا يجوز أن يمر به وهو بـلا إحرام أيا كانت وسيلة سفره . . . أما هؤلاء الذين يقيمون بين هذه الأماكن ومكـة فإنـه يحرم من مكـانه الـذي يقيم به ، وأمـا أهل مكـة فيحرمـون من منازلهم طـالما قـد عقدوا النية على الحج .

والإحرام هو بـداية الـدخول في الحـج وفيه يحـرم على الإنسان أمـور كـانت حلالا ويسن أن يغتسـل المـرء قبيـل هـذا المكـان أو عنـده ويتـطيب ويصلي ركعتين وكيفيـة الإحرام هي أن يتجـرد الرجـل من ثيابـه ويلبس بدلا منها إزاراً ورداء ونعلين ويكون قد قلم أظافره وقص شاربه ونظف شعـر رأسه ولحيته ، واما المرأة فتحرم في ملابسها العـادية ولا تكشف من بـدنها سـوى وجهها وكفيها . . . وبالإحرام يحظر على الرجل أن يلبس أي لباس مخيط أو مفصـل أو مقـطوع على قـدر الجسم أو قـدر جـزء منـه كـالقميص والقفـاز والجورب والعمامة أو القلنسوة ونحوها كما يحرم عليـه أيضا ان يكـون الإزار أو الرداء الذي يلتف به قد صبغ بصبغة ذات رائحة . أما المرأة فلها أن تلبس ما تشاء بشرط ألا يكون به صبغات ذات رائحة ولها أن تلبس الحلى على ألا ترتدي قفازا .

ومحظور في الإحرام على الرجل والمرأة التطيب أي وضـع الطيب في المـلابس أو على الجسم ، وكـذلـك تقليم الأظـافـر وحلق أو قص أو إزالـة الشعـر في أي جـزء من الجسم وأن يعقـد عقـد زواج لنفسـه أو لغيـره . . . وكذلك محظور على الرجل والمرأة في الإحرام الجماع وتقبيل الزوج لزوجته أو الغـزل أو ما يـدور حول الجنس من كـلام وكذلـك السب والجدل وذلـك بنص الآية الشريفة :

﴿ الحَـجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَـاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الحَـجَّ فَلَا رَفَـثَ ولَا فُسُـوقَ وَلا جِدَالَ في الحج ﴾ .

أما من اضطر لحلق رأسه وهو محرم لمرض أصابه ويحتاج علاجـه إلى

الحلق فعليه فدية للحلاقة وهي صيام ثلاثة أيام أو يذبح شاة يتصدق بها على المساكين أو صدقة بإطعام ستة مساكين مختلفين وذلك إذ تقول الآية الشريفة :

﴿ فَمَن كَانَ مِنْكم مريضاً أو بِه أَذىً من رأسه فَفِدْيَةٌ مِنْ صيامٍ أو صَدَقَةٍ أو نُسُكٍ ﴾ .

وكذلك من تضطره حالته الصحية إلى لبس المخيط من الثياب أو المحيط بجسمه اجتنابا لبرد يسبب مرضه أو اتقاء لمرض يصيبه لذلك فحكمه كحكم من حلقَ رأسه للمرض فعليه أن يلبس الثياب ويقدم الفدية المذكورة .

وعلى الإنسان أن يقوم بشعيرة أخرى هي التلبية وصيغتها (لبيك اللهم لبيك ، لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك) ويستمر في التلبية منذ أن أحرم ، ويستحب الجهر بها إشعاراً لنفسه ولغيره بأنه قد لبى دعوة الله سبحانه وتعالى .

ويقترب الحاج من مكة ويستحب أن يغتسل قبل دخولها فإذا دخلها توضأ ومضى إلى البيت . . . البيت الذي ترك أهله وماله ووطنه بل ترك الدنيا كلها سعيا لزيارته . . وتلبية لنداء صاحبه . . . لدعوته . . . فإذا وقع نظره على البيت يقول (اللهم أنت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام) ثم إذا بلغ الحجر الأسود قبّله فإن لم يستطع رفع يده إليه ويجعل الكعبة على يساره ويبدأ طوافه حولها من الحجر الأسود إلى أن يعود إليه مرة أخرى فهذا طواف واحد فعليه أن يطوف سبع مرات . . . يهرول في ثلاث منها ويمشي في الأربع الباقية مشيه العادي وفي كل مرة يقبل الحجر الأسود أو يستلمه بيده ويقبلها أو يرفع يده إليه وفي أثناء الطواف عليه أن يذكر الله ويثني عليه وأن يصلي على رسوله ﷺ وأن يدعو لنفسه ولمن يريد كيف يشاء بما يشاء وأما المرأة الحائض والنفساء فلا تطوف ، ويمكن للشيوخ والضعفاء أن يطوفوا محمولين أو راكبين .

ويمضي الحاج إلى مقام ابراهيم متجهاً إلى الكعبة الشريفة جاعلا المقام بينه وبينها ويصلي ركعتين بعد أن يتلو قول الله تعالى :

﴿ واتَّخِذُوا مِن مَقَامِ إبرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ .

وعلى الحاج بعد ذلك السعي بين الصفا والمروة سبعة أشواط يبدأ الشوط الأول من الصفا وينتهي إلى المروة ويبدأ الشوط الثاني من المروة وينتهي إلى الصفا وهكذا على أن يكون السعي هرولة بين الجبلين في كل شوط ومشياً قبل ذلك وبعده، وللحاج أن يفرق الأشواط إذا لم يستطع المواصلة ويمكن للضعيف أو العجوز أن يسعى راكباً أو محمولا . .

ويخرج الحاج بعد ذلك من مكة إلى منى ويبيت بها فإذا أصبح اليوم التاسع من شهر ذي الحجة صلى الصبح وانتظر إلى ما بعد طلوع الشمس فيغادرها للوقوف بعرفة . . . ويبدأ من الظهر فيصلي الظهر والعصر جمع تقديم وراء الإمام أو بدونه إن تعذر ويدعو بما شاء من خير فإذا غابت الشمس نهض إلى مزدلفة سيراً متوسط الخطى وحين وصوله يصلي صلاة المغرب والعشاء جمع تأخير ، ثم ينتظر صلاة الصبح عند الفجر . . . ثم يتوجه بعد ذلك لرمي جمرة العقبة بسبع حصيات كل منها في حجم حبة الفول وموعد رميها من بعد شروق الشمس في أول أيام العيد أي يوم عشرة ذي الحجة حتى ظهر اليوم نفسه وحتى آخر النهار عند الحنابلة ، ثم على الحاج أن يذبح ما معه من الأضاحي ، ثم يحلق رأسه أو يقصر شعره ثم يطوف بالبيت طواف الإفاضة سبع مرات . . . ويجوز تقديم بعض هذه الأعمال الأربعة وهي الحلق والرمي والذبح وطواف الإفاضة بعضها على بعض . . وبطواف الإفاضة حل للحاج كل ما كان محرماً بإحرامه بعد أن تحلل أولا بقصر أو حلاقة شعره فيحل له لذلك كل شيء ما عدا النساء .

ثم يعود الحاج بعد ذلك إلى منى للمبيت بها لبقية الرمي إذ يرمي ثلاث جمرات وهي القصوى والوسطى والعقبة يرمي كل واحدة منها بسبع حصيات . . . ويتكرر الرمي ثلاث أيام عندما تزول الشمس أي أن الحاج يبيت في منى ثلاث ليالي ولا يعفى من المبيت إلا ذوو الأعذار القاهرة .

ثم بعد ذلك يـذهب الحاج إلى البيت ليـطوف به طـواف الوداع قبـل مغادرة مكة مستأذناً ومودعاً . . . وبذلك يكون قد أتم الإنسان حجه .

أما لماذا نحج ؟ . . ففي كل يـوم تضيف الأبحاث والـدراسات هـدفاً جديداً للحج يحقق خيراً للانسان . . والمجتمـع . فالإسـلام دين يدعـو إلى الوحدة التامة الشاملة بين المسلمين وذلك بنص مثل الآيات الشريفة :

﴿ وَإِنَّ هٰذِه أُمَّتكُم أُمَّةً واحدةً وَأَنَا ربُّكُم فاتَّقُون ﴾ .

﴿إنَّ هٰذِه أُمَّتكُم أُمةً واحدةً وَأَنَا رَبُّكُم فاعْبدُون ﴾ .

وإذا كـان الإسلام حـرص على دعوة المسلمين لـلاجتماع في الصـلاة خمس مرات كل يوم ففضل صلاة الجماعة على صلاة الفرد ، فإنه قرر صلاة الجماعة في يـوم الجمعة وفـرضها حتى يتم اجتمـاع المسلمين من أهل كـل حي بعضهم مع بعض فيتعارفون ويتآخون ويتدارسـون أحوالهم . . . ثم دعـا الإسلام إلى الحج وهو مؤتمر عالمي يجتمع فيه المسلمون من كل دولة وكل مكان ولا وجه للمقارنة بين مؤتمـر الحج وأي مؤتمـر آخر فـإن أيَّ مؤتمر لا يعقد إلا لغرض واحد أو هدف محدد فإذا تعدى الغرض المقصود كان لا بد من الدعوة إلى مؤتمر غيره يضم دولا أخرى، إذ أن المؤتمر السيـاسي يضم دولا ذات سيـاسـة واحـدة بهـدف معين والمؤتمـر الاقتصـادي يضم دولا يتفق اقتصادها مع الغرض من المؤتمر ، والمؤتمر العسكري لا يجمع إلا الـدول المرتبطة مع بعضها بتحالف عسكري . . والدول ذات الاقتصاد المتقارب في طبيعته نجدها مثلا تختلف في شكل حكومتها . . . الأمر الـذي لا يمكن معه أن تنـاقش دولتان في أكثـر من غرض واحـد ، وهكذا بينمـا نـرى أن الحـج يشمـل دولا تختلف في شكل حكـوماتهـا وتتباين في اقتصـادها وبـالرغم من ذلك يجتمع المسلمون من هذه الدول في الحج الذي ينظر في كل ما يشمل دول الإسـلام وأفـراده من النـواحي السيـاسيـة والاقتصـاديـة والاجتمـاعيـة والثقـافية . . . فليس الحـج اجتماعـاً يعقد ثم ينفض بـلا هدف . . بـل إنـه يشمـل كافـة المسلمين أينما كـانوا ببـره وخيره وفضله فيتـدارس المجتمعون

مشاكل إخوانهم أينما كانوا . . ويتقاسمون العمل في سبيل المسلمين . . مهما كانوا . .

فهو مؤتمر اقتصادي ثقافي عسكري ديني بل لا يمكن حصر مواضع دراسته . . هذا هو أحد أهداف الحج . . وهذا الهدف يجب أن يحرص عليه المسلمون ففيه تنظيم شؤونهم وتوحيد أمورهم وخير أفرادهم . . ورفعة مجتمعهم .

ويتميز مؤتمر الحج عن غيره من المؤتمرات بميزة فريدة ألا وهي انعقاده دورياً مرة كل عام . . في وقت معين . . . وشهر معين بل ويوم معين . . إذ أن المؤتمرات والأحلاف أيا كان نوعها وهدفها تجتمع ثم تنفض إلى غير إجتماع وقد تجتمع مرة أخرى إذا ما دعت الحاجة الماسة إلى ذلك ، ولكن لا بد أن تنتهي الرابطة يوماً ما بانتهاء الغرض من اجتماع المؤتمر أو انشقاق دولة من دول الاجتماع أو تغيير الحكومة التي اشتركت فيه أو لعدم الوصول إلى اتفاق في الاجتماع . . بينما مؤتمر المسلمين في الحج ينعقد كل عام حتما فهو فرض واجب الأداء . . . وبذلك منذ أن حج سيدنا رسول الله ﷺ حتى اليوم وحتى ما شاء الله وإلى أن تنتهي الدنيا سيجتمع المسلمون في مؤتمرهم مكبرين الله . . . ملبين الدعوة . . . مهما باعدت بين أفراده الأمصار وفصلت بينهم الأقطار . .

ويتميز مؤتمر الحج على غيره من المؤتمرات كذلك بمكان الاجتماع فإن كلّ مؤتمر تحاول الدول المشتركة فيه أن تتخذ مكانا لانعقاده تتوافر فيه سهولة حمايته والمحافظة على أفراده وإمكان الوصول إليه . . وليس في الدنيا مكان أكثر أمنا أو حتى يماثل الكعبة الشريفة في الآمان عندها . . فهي مكان حرام . . وينعقد المؤتمر فيها في أشهر حرام . . لا قتل ولا اعتداء . . بل لا سباب أو صخب . . بل لا جدال أو نقاش في الحج . . إنما سلام وسكينة . . وطمأنينة . . ومحبة . .

وما يتميز به الإحرام من إزالة الشعر وقص الأظافر وتسريح الرأس وغسل الجسم واستبدال الملابس بأخرى نظيفة طاهرة ليست مخيطة ولا

يمكن أن تكون مكانا لحشرات ولا يمكن لحشرة أن تضع بيضها . . وكذلك ما يستن من كثرة الاغتسال . . كل ذلك يحقق نظافة الاجتماع ويحول دون انتشار الأوبئة والأمراض . . ولا يمكن لاجتماع غير الحج يضم بعض من يضمهم الحج أن يمر سليما بلا مرض . . أو وباء . .

وهكذا الحج مؤتمر عام للمسلمين يبحث كافة شؤونهم . . ويشمل كل حالهم . . ويجعل المسلمين على بينة من أمورهم . . ويمكنهم أن يكونوا متابعين لتطورات أحوالهم . . فيقفوا كل عام . . على مدى ما وصلوا اليه وما تحقق . . وما لم يتحقق بعد من أمورهم . . وفي الوقت نفسه . . يجتمعون في رضا وتسليم . . يذهبون طائعين مختارين لا مجبرين أو مسوقين . . بل يتعجلون الموعد . . ويقضون الشهور والأيام وهم على استعداد . . وفي إعداد . . ليجمعهم أطهر مكان ، وتظللهم أجمل عاطفة . . فهل هناك أطهر من بيت الله . . . يجتمع فيه المحبون ؟ . وهل هناك أجمل من رحمة الله ؟ . التي تظلل الجمع الحاشد الذي حضر . . استجابة لدعوة الخالق الرحمن الرحيم . .

هذا الاجتماع يشمل خيره . . المجتمع الإسلامي عامة . . كما يخلق في المواطن المسلم الشعور بالعزة والكرامة والإنسانية . . فكل مسلم حضر مؤتمر الحج إنما أسهم في حل مشكلات المسلمين واشترك في دراسات أمورهم .

واجتماع المسلمين في الحج إنما هو وسيلة إيجابية لإظهار الوحدة بين كافة الدول الإسلامية . . . كيف لا . . وها هي أفرادها كلها تجتمع في صعيد واحد . . وتلبي بنداء واحد . . وتجمعها أعز وأقدس الروابط التي يجتمع عليها الناس . كذلك هذا الاجتماع إنما هو وسيلة لإعزاز المسلمين وإظهار مكانتهم في العالم . . فهم قوة ضاربة إذا اعتدِيَ على دولة من دولهم . . فالغلبة لهم . . والنصر المؤكد معهم والهزيمة والدمار لأعدائهم . .

والحج كذلك توبة إيجابية واستغفار عملي ، إذ أن الإنسـان نجده إذا ماااستشعر في قلبه الرغبه في تلبيةنداء الحج . بادر بالتوبة التامة ويحـاول قدر استطاعته رد المظالم وقضاء ما عليه . . فإنه ليعلم علم اليقين أن الله سبحانه وتعـالى لا يقبـل إلا الـطيب ولا يمكن أن يكـون مـال السفـر إليـه إلا من حـلال . . . ولا يكون الـزاد في الطريق إليـه إلا طيبـا ومن حـلال . . . فـإذا تحلل من كل ما عليه ورد للناس كـل ما لهم لـديه وسـامحهم وسامحـوه . . وقصـد وجه الله . . وتـوجـه إلى بيت الله . . نجـده يقـوم في أركـان الحـج بعمليات أثبتت الدراسات العلمية أخيراً أنها وليس ما يماثلها ناجعة في إشعار النفس بـالتخلص من الذنـوب وحل عقـد الأخطاء . . فمثـلا رمي الجمرات تعتبر وسيلة حركية لإقناع النفس عمليا بأن الإنسان قد ألقى بذنوبـه كما يلقي الجمـرات بعيـداً عن نفسـه . وإنـه إنمـا تحلل منهـا وصفت نفسـه وطهـرت سريرته . . وإنه برجم الشيطان بهذه الحصوات . . إنمـا قد أكـد العهد على حربه . . حربا لا هوادة فيها . . فلن يستجيب إلى نـزواته . . ولن يحقق لـه وسواسه . . والإنسان وهو يلقي بهذه الحصوات ليشعر براحـة مهادنـة ضميره له . . وتسامح نفسه معه . . وإنه ليعود بعد انتهـاء رمي الجمرات . . نقيـا . طاهرا . بلا ذنوب أو خطايا . .

وعنـدما يسعى الإنسـان بين الصفا والمـروة . . . يتذكـر أول سعي تم بينها . . فإن ذلـك من أهداف السعي . . فسيـدنا إبـراهيم ﷺ كانت زوجتـه سارة عقيماً لاتلد فلماوجدت تلهف زوجهاعلى الولد خطبت له جاريتها هاجـر لعلهـا تنجب منه فيـدخل ذلـك السـرور على قلب إبـراهيم . . لا سيمـا وأن هاجر جـارية سـارة ليست غريبـة عليها . . ولكن مـا أن ولدت هـاجر سيـدنا إسماعيل وانتعش لـذلك فؤاد إبـراهيم حتى دبت الغيرة في قلب سـارة . . . فشـددت على زوجها أن يقصي إسمـاعيل وامه عنهما إلى أقصى القفـار . . فأذعن لإرادتها واستجاب لطلبها . . ولا يعرف هل وافقها . . لرؤ ية رآها في نومه . . . أو لأن هاتفا هتف به . . . أو لأنه استخار الله عن طريق الحلم . . فوافق الحلم ما طلبت سـارة . . فأخـذا إبراهيم إسمـاعيل وهـاجر . . وسـار بهما إلى أن وصل دوحـة فوق زمـزم وليس في هذا المكـان وقتذاك أحـد . .

وليس فيها ماء . . وتركهما بعد أن أعطى هاجر جرابا فيه بعض التمر وسقاء فيه بعض الماء . . ثم انطلق على أثره عائدا وهاجر تستعطفه وتصرخ . . ولكنه لا يجيب ، فتقول له (هل أمرك الله بهذا ؟) فيقول نعم فتقول هاجر (إذاً لا يضيعنا) . . وعندها رفع ذراعيه إلى السماء ولم يزد على أن دعا ربه قائلاً :

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِليهِم وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشكُرُونَ ﴾ .

وامتثلت هاجر لقضاء الله وصبرت . . حتى إذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وأهاجها صراخ طفلها الذي أخذ يتلوى من ألم العطش . . فقامت تستقبل الوادي تنظر هل من أحد ؟ . ولكن بدون جدوى . كأن الحياة لم تزر هذه البقاع أصلا . . فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحداً ؛ فلم تر أحدا ففعلت ذلك سبع مرات . ثم إذا بملك يملأ الأفق فيضرب الأرض بعقبه أو بجناحه في مكان زمزم فيظهر الماء نقيا طاهرا جميلا عليلا . . ويقول لها الملك (لا تخافوا الضيعة . . فهنا بيت الله . والله لا يضيع أهله) . . وحومت الطيور حول الماء . وعرف المرتحلون والضاربون في الصحارى وجود ماء مجاور حيث تطير الطيور . . . فتقاطروا على العين يقيمون حولها وأصبحت الصحراء عامرة والبلقع آمنا . . وكان إبراهيم يزور إسماعيل . . كثيراً . . حتى إذا اصبح إسماعيل رجلا أقبل عليه إبراهيم لا ليزوره ولكن ليخبره أن الله سبحانه وتعالى أمره بأن يرفع القواعد من البيت ، ويبني بيت الله الحرام فأخذا يبنيان أطهر مكان . . وأشرف بيت وهما يدعوان الله . . . لأنفسهما ولذريتهما . . من بعدهما . . ولأمة الإسلام فيقول القرآن الكريم .

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وإِسمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ

أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَين لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ .

هذا هو أول سعي بين الصفا والمروة . . فإذا ما تذكر الإنسان قصته وهو يقوم به ترى أي إيمان يملأ قلبه دائماً . . وأي يقين يفيض به وجدانه . . وأي اعتقاد جازم . . يعتقده الإنسان . . بأن الله سبحانه وتعالى هو الرحمن الرحيم وأن رحمته تشمل كل إنسان . . بل كل مخلوق . . بل ما خلق وما لم يخلق . . بل إن الوجود بأجمعه هو دليل رحمته وأثر محبته ، هل بعد العسر الذي كانت فيه هاجر عسراً . . وألم يبدل الله عسرها يسراً ؟ . . وهل بعد ذلك ضيق ؟ . . وأيا كان الضيق عند الإنسان أيبلغ ما كانت عليه هاجر ؟ . ثم ألم يجعل الله لها بعد هذا الضيق فرجا . . . فتصبح زمزم أطهر عين ، وأكرمها مشربا حلال لها ولابنها ، وتصبح الصحراء الجرداء . . مكانا تهفو إليه القلوب . . وتشد إليه الرحال . . ويصبح ابنها . . الذي كاد أن يقتله الجوع والعطش . . رجلاً . . يبني أطهر وأشرف . . ما بنى الإنسان . . على وجه الأرض . . هل يزعج الانسان بعد ذلك أي أمر . . وهل يا ترى بعد هذا الدرس العملي إلا يسلم الإنسان أمره كله إلى الله وحده ؟ .

وعندما يقف الحجاج بعرفات في وقت واحد بلباس واحد . وشكل واحد . يا ترى أي دروس يمكن الاستفادة منها من هذا الموقف ؟ . . فهل من سبيل إلى إظهار المساواة التامة بين خلق الله جميعاً بصورة قاطعة عملية إلا هذه الوقفة التي يتساوى فيها الغني والفقير ؟ . . يقف الوالي ويجاوره عامله . . صاحب الأرض . . وأمامه قد يكون أجيره . . جميعاً قد تجردوا مما يميز أحدهم على غيره . . لا حرير . . ولا ذهب . . لا عبيد ولا سادة . . إنما كلهم عباد الله . . بلا زينة أو طيب . . وبلا فخر . . . أو تخايل . . ويذكر الإنسان وهو في هذه الوقفة . . وقفة أخرى قريبة . . وإن طال الأجل . . حين يتساوى الناس . . أمام رب العالمين . . . يوم يقفون للحساب . . لا أنساب . . ولا جاه . . ولا مال ولا ولد . . إنما هي الأعمال . . والأقوال . . فيا ترى هل يطمع الإنسان في حق غيره . . وهو

ينظر إلى ما ليس له ؟. وهل يتمسك بهذه الدنيا وقد وقف في الحج وقفة تشابه ما سيكون عليه . . إن عاجلا أو آجلا ؟

وهذا الأسود . . يقف بجواره الأبيض . . والصيني يرافقه والياباني . والروسي ومعه الأمريكي . . جميعاً . . إخوة في الله جمعتهم كلمة التوحيد . . وسوَّت بينهم وقفة العيد . .

وهكذا لا حدود لأهداف الحج بما يناله الفرد من خير وبما يناله المجتمع عامة . .

وأما النواحي الروحية للحج فلا يحس بها إلا من وفقه الله إلى أدائه . . فإن الإنسان عندما يرى هذه الصحارى وقسوتها والجبال وقوتها . . ويذكر العرب وجبروتهم . . والكفار وعنادهم . . ويذكر ان فردا يتيما . . لم بتميز عليهم بعلم أو مال . . أو قوة في الجسد أو زيادة في الأهل والولد . . إنما اختصه الله بما لا يختص غيره إلا من الرسل الأنبياء . . فأوحى إليه أن أنذر عشيرتك . . ثم ادع إلى سبيل ربك فيقف وحيداً . . بين الطبيعة القاسية . . والنفوس الأبية الثائرة . . فما لانت قناته . . وما ترك أمر الدعوة الى الله . . يسرح الإنسان ببصره فوق هذه الأراضي الشاسعة . . ثم يعرف كيف أن رسول الله صابر وصبر . . وكيف أن الله وحده . . هو الذي أيده . . فدك معاقل الشرك . . وزلزل حصون الكفر . . ورفع كلمة الله عالية . . وعندها سيقول الإنسان بقلبه ووجدانه . . وبكل جارحة من جوارحه حقا وصدقا : (لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده) . . سيدعونه جل شأنه في قوة ويقين وبعزم وحنين (اللهم صل على عبدك ورسولك محمد . . وعلى آله وصحبه ومن تبعه إلى يوم الدين) .

وسيرى الحاج جبل النور . . حيث يحس بالنور ينبعث فيه من كل مكان . . وإلى كل مكان . . فهو جبل في عزلة عن بقية الجبال وبينه وبين مكة ثلاثة أميال كان يسيرها محمداً ﷺ وحيداً فريداً ثم يصعد هذا الجبل في طرقه الضيقة المرتفعة الصعبة وعلى قمة هذا الجبل يجيل ببصره في

السماء . . فيرى النجوم التي لا حصر لها . . وهي ترنو إليه . . كأنها مشفقة عليه من أمر صعب سيتحمله أو كأنها مستبشرة به . . لأمر . . عظيم سيفعله . . ثم ينظر إلى أسفل . . إلى بطن الجبل . . إلى مكة . . فيرى قومه . . قد نحتوا بأيديهم من الصخور تماثيل . . ثم ينقلبوا لها عابدين . . . يعبدون أحجارا لا تملك نفعا ولا ضرا . . ولا تستطيع نطقا أو فهما . . وإذا كانت لهذه الأحجار من نتيجة فهي الضرر البالغ إذ أن الإنسان بعبادتها قد كفر . . وهي سبب العذاب في الآخرة . . وإذا كانت هذه الأحجار تنطق فيوم القيامة . . حيث تلعن من عبدوها وتتبرأ منهم وتكون الشاهدة عليهم باستحقاقهم العذاب والعذاب الشديد . . فإذا ما أمكن للإنسان أن يصعد . . ويعطر نفسه بتراب سار عليه رسول الله . . وبهواء عاش فيه ووصل إلى غار حراء . . سيتذكر كيف كان رسول الله يختلي الأيام والليالي في هذا الغار . . يتعبد . . وقد آمن كما آمن جده الأكبر إبراهيم عليه الصلاة والسلام بأن هذا الوجود بما فيه . وهذا النظام الذي ينبعث منه إنما هو دليل على وجود الخالق الرحمن الرحيم . .

سيقف الإنسان على باب الغار . . غار حراء حيث نزل القرآن الكريم أول مرة . . وحيث جاء جبريل الأمين ليعلن البشرى . . التي رحم الله بها الإنسانية كلها والبشرية بأجمعها . . لقد ارتضى الله لعباده الإسلام دينا . . وأنزل لهم القرآن الكريم فيه ذكرهم وذكر آبائهم . . وفيه وسائل حياتهم . . وسبيل الرحمة بعد مماتهم . . . كتاب الله رب العالمين . . جاء جبريل يقول لمحمد : اقرأ . . فلما يجيبه محمد بأنه لا يقرأ . . يقول له في الثالثة :

﴿ اقْرَأْ باسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الإِنْسانَ من عَلَق . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأكْرَمُ . الَّذِي علّم بالْقَلم . عَلَّم الإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ ﴾ . . ويتوالى نزول القرآن الكريم في نحو ثلاث وعشرين سنة إلى أن كمل القرآن وتم الاسلام . . وأنهى رسول الله ﷺ الرسالة فنزلت الآية الشريفة :

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُم دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُم نِعمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسلاَمَ دِيناً ﴾ .

وهـذا جبل ثـور جنـوب مكـة . . حيث احتمى رسـول الله فيـه ومعـه صـاحبه أبـو بكر . . إذ دخـلا في الغار فيـه يـوم أذن الله جـل شـأنـه لـه في الهجرة . . فتخرج قريش تطلب قتل الرسـول . . فيخرج من داره ويُعمي الله عنه عيون الراصدين . ويدخل وصاحبه الغار وتقوم القـوافل والحشـود تبحث عن محمد وتصل إلى الغار فتجد على فوهة الغـار قد نسجت العنكبـوت . . ولا تنسـج العنكبـوتـة بيتهـا إلا في أيـام وليـالي . . ويبيض الحمـام على الفوهة . . فهل يمكن لقريش أن تبحث في غار هذا حالة ؟ وتصـل أصوات الجموع إلى الرسول وصاحبه ، فيخشى صاحبه عليه ويقول له (يـا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى موضع قدميه لأبصرنـا) فيرد عليـه الرسـول الأمين ويقول (لا تحزن إن الله معنا . . ما ظنك باثنين الله ثالثهما) .

وهـذه بدر . . ولهـا تاريخهـا المجيد . فمن يمـر بهـا ولا يـذكـر يـوم الجمعة السابع عشر من رمضان حين التقى المسلمون بقلتهم . . بالمشركين على كثرتهم . . لم يكن العدد متناسبا . . ولم تكن العـدة كذلـك . . ولكن كانت كثرة على باطل وفي ضـلال . . وقلة على حق . . . وفي تقوى الله . . ونادى قائد المشركين ودعا أصنامه اللات والعـزى . . ونادى رسـول الله ودعا ربه قائلا (اللهم هذه قريش قد أتت بخيلائها تحـاول أن تكذب رسـولك . . اللهم فنصـرك الـذي وعـدتني . . اللهم إن تهلك هـذه العصـابـة اليـوم لا تعبد . .) وكان نصراً للقلة المؤمنة . . وهزيمة للكثرة المشركة . .

وهـذه أُحد . . وفيهـا شغلت الغنيمة المسلمين ولم يستمعـوا الى مـا أمرهم به الـرسول الكـريم فدارت عليهم الـدائرة جزاءً وفاقـا . . ولكن الله سبحانه وتعالى الذي كتب النصـر لأوليائـه . . شاء فتقهقـرت جيوش البـاطل وانتصر الحق . .

بل هذه هي الصحراء كلها . . كل جزء فيها بل إن كـل حجر بهـا . . بل كل حصاة فيها إذا تأملها الإنسان ورجع بذاكرته معها فإنها تقص لـه أروع قصص النضال وأطهر آيات الجهاد . ستروي له انهزام جحافـل الكفر وهـدم معـاقـل الشـرك تحت نـداء التكبيـر لله وحـده . . وستحكي قصص تحـطيم

الأصنام وانتهاء عبادة الأوثان . . على يد الرسول الأمين . . ستقص قصة الظلام الذي كانت تعيش فيه الدنيا . . إذ يعبد الإنسان حجراً . . أو يشرك بربه أحداً . . أو يقول إن الله سبحانه وتعالى قد اتخذ له ولدا . . . وسيستمع إلى مولد النور . . حيث أشرق على العالم نور التوحيد ، فلا رب إلا الله . . ولا معبود بحق غير الله . . ولا إله إلا الله . . . فأين كانت الدنيا . . وكانوا . . وأين أصبحت بالإسلام وأصبحنا ؟ . .

وسيندهش الإنسان عندما يرى هذه الألوف من طيور الحمام تحط في الحرم وتأكل من كل يد . . تحوم حول الكعبة الشريفة ولا تحط عليها إطلاقاً . . ولا تقطعها يقيناً . . وتأكل مهما تأكل فلا تخرج فضلاتها في الحرم . . وإنما بعيداً . . وبعيداً عن الحرم . . وحماه .

سيفكر الإنسان . . ترى ماذا يراه الحمام ولا نراه ؟ وما يمنعه من قطع الكعبة أو الوقوف فوقها ؟ . . ترى . هل يحس بالروعة والرهبة والخشوع قدر ما نحس ؟ . أم يا ترى . . ارتفعت عن عينه الحجب التي ما زالت على أعيننا . . والتي سترتفع عنا . . يوما . . بعد . . أو قرب . . وعندها . . يتمنى الإنسان . . لو عاد مرة أخرى إلى حياته . . ليصرف حياته كاملة في عبادة الله الواحد الأحد . كما يجب أن تكون العبادة . . ولكن هيهات . هيهات ذلك .

﴿ الحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ في الحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ الله وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى واتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ ﴾ .

* * *

هذه هي عقائد وعبادات الإسلام . .

أمانة . . يؤديها الإنسان بين نفسه وربه . .

لا يستفيد منها الله أبدا . . فلو عبده كل خلقه طول ما عاشوا فلن يزيد ذلك في ملكه شيئا .

ولو عصوه ما نال منه ذلك أمراً . .

هذه هي العبادات التي تصبح بها مسلما .

وتتحقق بها لك السعادة في الدارين قطعا .

وإنها لعبادات يسيرة . ذات أهداف كبيرة .

منها الدائمة . . ومنها الزمنية . . واخرى موسمية . . ومنها التي لا تتكرر إلا كل عام . . والتي لا تتكرر أبدا . .

فالعبادة الدائمة التي يجب على الإنسان أن يظل دواماً عليها طوال حياته . . في يقظته أو منامه . . في عمله أو غذائه . . في شغله أو فراغه . . هي عقيدة الإيمان بالله الواحد الأحد .

والزمنية . . هي الصلاة التي يؤديها الإنسان خمس مرات كل يوم . .

والموسمية . . هي الزكاة التي يخرجها الإنسان مرتين على الأقل في مواسم معينة . .

والتي لا تتكرر إلا مرة كل عام . . هي الصوم . .

وأما التي لا تتكرر ـ على سبيل الوجوب ـ فهي فريضة الحج . . مرة في العمر . . فمن زاد فهو خير له . .

كل عباداته لصالح الإنسان . . والمجتمع . . والناس كلهم . . أينما كانوا .

وإنها لعبادات واضحة . . وبسيطة .

لا رموز فيها . . ولا تعقيد . .

إنما نظافة وهداية . . وبذل ودعاء . وعمل طيب وقول سديد . .

إذا حرص الإنسان عليها فقد فاز في الدنيا فوزا عظيما . .

ونال في الآخرة أجرا كبيرا ونعيما وملكا مقيما . .

وأما من لم يستجب بعد أن جاءه الهدى فهو من الخاسرين . .

﴿ وَمَنَ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخاسِرِينَ ﴾ .

(صدق الله العظيم)

الفهرس